

تاريخ مدينة بنغازي

تأليف : ر.ج. جود تشايلد



https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

صورة الغلاف مأخوذة عن اناء في المتحف البريطاني وهي تمثل البطل هرقل (الثاني من اليمين) وهو مستريح في بستان الهسبريدس بعد ذبحه للثعبان لادون (في الوسط)

الجمهورية العربية الليبية
وزارة الاقتصاد
الادارة العامة للسياحة

تاريخ مدينة بنغازى

الطبعة الثانية ١٩٧٠

بنغازي
تاريخ مدينة

يوسبريدس - برنيتشي - برسي ابن غازي

تأليف : ر.ج.جود تشايلد
ترجمة : صالح جبريل
مراجعة : محمد القزيري

مقدمة

ان مدينة بنغازى – عاصمة ليبيا الشرقية – تعتبر آخر حلقة في سلسلة من المدن المتعاقبة التي خضع لها حكم برقة في فترات مختلفة من تاريخها . وكانت أولى هذه العواصم هي مدينة قورينا (شحات) التي تقع في الجبل الأخضر ، حيث الخصب ووفرة المياه . ولكن في عام ٢٩٧ م . قام الامبراطور ديوكليتيان بنقل العاصمة الى مدينة طوليمايس (أي طلميثه الواقعة قريباً من المرج) ، حيث قدر للكاتب سانيسيوس الشهير بمقالاته ورسائله الأدبية أن يتولى منصب أسقف المدينة (حوالي سنة ٤٠٠ م) . ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت مدينة طوليمايس خلال القرن السادس الميلادي، فأصبحت أبولونيا (سوسه) عاصمة لليبيا العليا (Upper Libya)أو المدن الخمس (بنتابوليس) ، بينما صارت مدينة درنة عاصمة لليبيا السفلى (Lower Libya) الممتدة نحو الشرق حتى الحدود المصرية .

وبعد الفتح العربي لليبيا (سنة ٦٤٣ م) احتلت مدينة برقة (المرج) مركز العاصمة وخلعت اسمها على الاقليم كله . الا أنه لما حل عهد الفاطميين أخذت تنافسها مدينة اجدابيا بحكم موقعها الملائم على طريق القوافل الداخلية الذي كان يربط بين مصر وبلاد المغرب . وعلى أي حال ، نجد أن الحياة الحضرية في برقة اندثرت على أثر الهجرات الكبيرة من قبائل بني هلال وبني سليم خلال القرن الحادي عشر الميلادي ، ولم تعد حياة المدن الى الظهور من جديد الا في القرن الخامس عشر حيث انتقل بعض التجار من اقليم طرابلس واستقروا

في مدينتي بنغازى ودرنة . ثم نرى أن الحكام الأتراك في عام ١٦٣٨ م اختاروا مدينة بنغازى – وهي أقرب الى طرابلس من المدن الأخرى – لتكون عاصمة ادارية لبرقة .

وظلت بنغازى عاصمة لبرقة منذ ذلك الحين وان كانت مدينة اجدابيا قد انتعشت هي الأخرى لفترة قصيرة فيما بين عامي ١٩٢٠–١٩٢٣م اذ اصبحت عاصمة لامارة سنوسية مستقلة تحت زعامة ملك ليبيا الحالي . أما المركز الاداري الجديد للحكومة الاتحادية في مدينة البيضاء فربما سيصبح منافساً لبنغازى في المستقبل، ولكن المدينة الغربية ستبقى محتفظة بأهميتها لقربها من الحقول البترولية التي اكتشفت حديثاً وبفضل مينائها التي تجري الآن أعمال ترميمه .

لقد حاولت في الصفحات التالية أن أتتبع تاريخ هذه المدينة منذ أقدم العصور الى يومنا هذا ، عسى أن يتمكن المقيم والزائر على السواء من الالمام بنبذة تاريخية عن المدن الثلاث – يوسبريدس، وبرينيتشي ، وبنغازى – التي قامت في هذا الموقع الجغرافي على التوالي . ويجد القارئ في نهاية هذا الكتيب قائمة موجزة تضم المصادر الأساسية لمادةالبحث . ونظراً لأن أغلب الاكتشافات الأثرية التي تمت في موقع مدينة بنغازى أثناء الاحتلال الايطالي لم تكن قد نشرت بعد، فانني لم أجد أمامي سوى اللجوء الى بعض الوثائق التاريخية الناقصة المحفوظة لدى مصلحة الآثار .

وأرجو أن يكون في اعادة اصدار هذا الكتيب ما يحفز الى الاهتمام بتاريخ عاصمة برقة الحديثة . فصحيح أنه لم يبق من آثار مدينتي يوسبريدس وبرينيتشي الا النزر اليسير ، ولكن اتساع رقعة المدينة الحديثة في المستقبل قد يميط اللثام عن بعض المخلفات الأثرية الهامة التي ينبغي أن يعتنى بحفظها في متحف المدينة .

ان الصعوبات التي ظلت الى الآن تقف حجر عثرة في سبيل توفير

المكان المناسب قد جعلت من المستحيل احياء المتحف الذي كان موجوداً بمدينة بنغازى في فترة ما قبل الحرب . الا أنه من المنتظر أن يصبح في الامكان اقامة متحف صغير في المستقبل القريب . والسائح الذي ينشد الآثار الاغريقية والرومانية لا شك أنه سيولي وجهه دائماً نحو مدينة شحات خاصة ، حيث أنها تضم أهم التراث القومي من آثار برقة . ولكن بنغازى أيضاً لا تخلو من المعالم الأثرية والتاريخية التي تستحق أن يشاهدها الزائر المهتم بمثل هذه الأمور .

شحات يناير ١٩٦٢

ر . ج . جود تشايلد



مقدمة المترجم

يسرني أن أقدم للقارئ العربي هذه الترجمة لكتيب « تاريخ مدينة بنغازى » الذي ألفه الاستاذ ر . ج. جود تشايلد . وهذا الكتيب يحمل بين طياته الكثير من المعلومات القيمة عن تاريخ المدينة في الغابر والحاضر.

وقد عرفت بنغازى خلال تاريخها الطويل بالأسماء التالية :

١) يوسبريدس : وهو اسم أطلقه الاغريق على المدينة عندما شيدوها في حوالي سنة ٤٤٦ ق. م. وكانت يوسبريدس تعتبر من ضمن المدن الخمس (Pentapolis) التي نشأت في برقة في الزمن القديم . وتوجد بقايا هذه المدينة القديمة متناثرة عند طرف السبخة التي تقع خارج المدينة الحديثة .

٢) برينتشي (برنيق) : أسست سنة ٢٤٧ ق . م . تكريماً للملكة « برينيتشي » وكانت تقوم في نفس موقع المدينة الحالية . وقد أدت الحركة العمرانية الحديثة الى كشف النقاب عن بقايا أثرية هامة لهذه المدينة .

٣) بنغازى : عرفت «برنيق» باسم بنغازي منذ سنة ١٤٥٠ م. عندما أقام بها الولي الصالح « سيدي غازي » الذي توفي بها ودفن في مقبرة « سيدي خريبيش» وكان أول من استوطن فيها تجار من اقليم طرابلس .

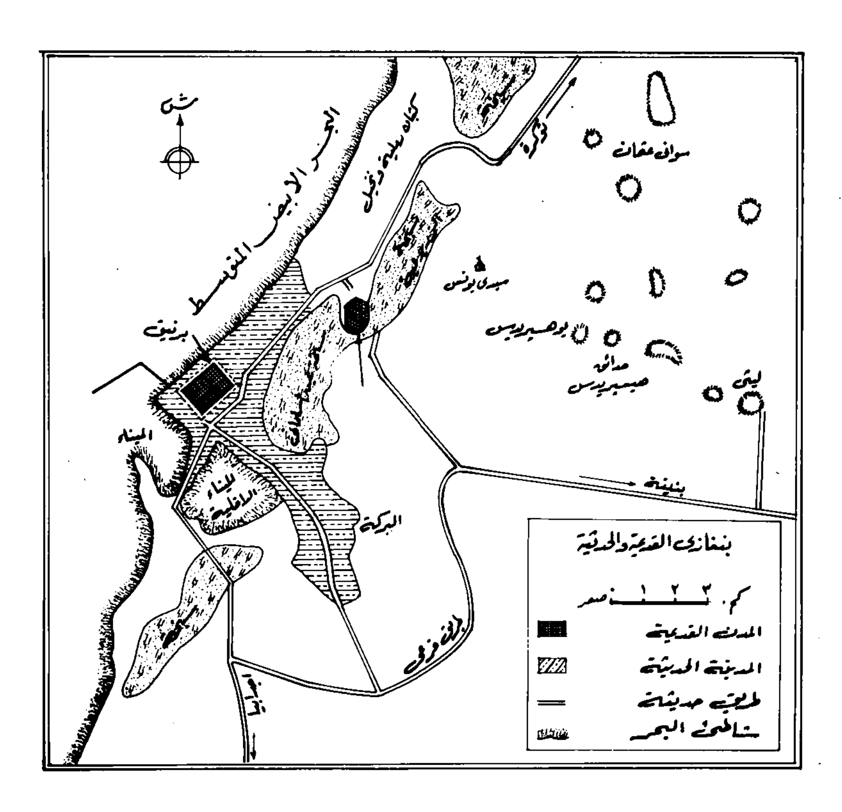
وربما يلاحظ القارئ أن المؤلف لم يسهب كثيراً في حديثه عن تاريخ بنغازى إبان الفتح العربي . وذلك يرجع اساساً الى قلة المراجع التي تناولت تاريخ المدينة في تلك الفترة بالذات .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يبق من آثار هذه المدن القديمة الا النزر اليسير ، وذلك لأسباب منها أن الأتراك كانوا يستخدمون أطلالها كمحجر في الفترة ما بين ١٨٣٥–١٩١١ م . وكذلك فان قناصل الدول الاوربية في القرن التاسع عشر قد استولوا على كثير من التماثيل والأواني الفخارية وقطع العملة وغيرها ، وهذه كلها تقريباً انتقلت الى متاحف أوروبا . وبالاضافة الى ذلك فان عوامل التعرية لا بد أنها لعبت دوراً كبيراً في محو بعض تلك الشواهد الأثرية .

وقبل أن اختتم هذه الكلمة الوجيزة يطيب لي أن اسجل تقديري العظيم للسيد وزير الاعلام والثقافة الذي اتاح لي فرصة ابراز هذا المشروع الى حيز التنفيذ ، والى السيد مدير عام العلاقات العامة بوزارة الاعلام والثقافة الذي بذل كثيراً من الجهد في الاشراف على نشر وطبع هذا الكتيب كما أود أن اسجل شكري للسيد وكيل وزارة السياحة والآثار لشئون الآثار والسيد مراقب الآثار في المحافظات الشرقية لما ابدياه من تشجيع كان له أكبر الفضل في حفزي الى القيام بهذه المحاولة المتواضعة كما أسجل شكري للسيد محمد القزيري الذي تفضل فبذل قدراً من وقته الثمين في مراجعة هذه الترجمة .

وأملي وطيد في أن أكون قد وفقت في نقل هذا الكتيب التاريخي الى العربية ، والله ولي التوفيق .

المترجـــم



خريطة تبين الموقع القديم والموقع الحديث لمدينة بنغازي

تمثال امرأة يعود الى القرن الثاني بعد المسيح وهو اول تمثال ليبي تعرفه اوروبا يكتشف في بنغازي وقد أرسل الى فرنسا في سنة ١٦٩٥م كهدية للملك لويس الرابع عشر وهو الان موجود في اللوفر





الفصل الاول

يوسبريدس - مدينة بنغازي القديمة

من المحتمل أن أولى المدن القديمة التي وجدت في موقع بنغازي كان قد أنشأها بعض المستوطنين الاغريق القادمين من قورينا او من برقة (أي المرج) في وقت ما قبل سنة ٥١٥ ق. م، حيث أقيمت على مرتفع من الأرض عند الطرف الشمالي لسبخة السلماني الحالية، أي في نفس الموقع الذي تحتله الآن مقبرة سيدى عبيد الاسلامية (المسماة علي عبيد الفيتوري ، وهو من مواليد زليطن، وكان شيخاً للطريقة العروسية في برقة) . والذي يسافر اليوم في طريق توكرة يجد ، بمجرد خروجه من المدينة ، طريقاً فرعياً يتجه الى اليمين صوب الوحيشى والفويهات فيجتاز بوابات المقبرة وتبدو الى يساره ربوة المدينة القديمة في آخر جزء أضيف للمقبرة . وقد نتج عن اقتلاع بعض أحجار الواجهة المقابلة للطريق ان بدت للعيان عدة طبقات من الأسوار المبنية بالحجر والطوب وأرضيات من الطين تحتوي على أوان فخارية اغريقية يرجع تاريخها الى الفترة الواقعة ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد .

ولكي ندرك السر الذي يكمن وراء اختيار هذا الموقع بالذات لانشاء المدينة القديمة بدلا من تشييدها في المكان الذي تقوم فيه مدينة بنغازى الحديثة لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار تلك التغيرات التي طرأت بسبب الجفاف التدريجي للبحيرات القديمة المحيطة بمدينة بنغازى والتي تحولت الى مسطحات ملحية . فليس ثمة أدنى شك في أنه عندما أقيمت مدينة يوسبريدس كانت سبخة السلماني عبارة عن بحيرة يكفي عمقها لاستقبال المراكب الشراعية الصغيرة الشائعة في ذلك الوقت . كما كانت تتصل بميناء بنغازى الداخلي مباشرة . وهذا الاتصال أقفل فيما بعد تدريجياً بتكون حاجز من الرمال . لكنه لم يسد كلية الا في القرن التاسع عشر حين قام الأتراك بمد طريق جديد مرتفع يؤدي الى البركة . ومن المحتمل جداً أن يكون تراكم الرواسب في البحيرة قد قطع شوطاً كبيراً قبل القرن الثالث قبل الميلاد بمدة طويلة . أي قبل أن تنقل المدينة الى موقع أكثر قرباً من البحر المفتوح . وذلك أن الجغرافي سكايلاكس يشير الى « ميناء » يوسبريدس على اعتبار انه كان متميزاً عن المدينة نفسها .

وقبل أن ندرس المخلفات الأثرية التي احتفظ لنا بها التاريخ من مدينة يوسبريدس القديمة علينا أن نلخص القدر المعروف من تاريخها بما يمكن أن نستمده من المصادر التاريخية . فمن جهة التأسيس الفعلي لمدينة يوسبريدس — وهذه هي التسمية الصحيحة بالاضافة الى كونها أقدم تسمية لها —

لسنا نجد أي تاريخ مدون ، فيما عدا ما يذكره هيرودوت من أنه حين ثار سكان برقة (المرج) على حكم اركيسيلاوس (Arcesilaus) الثالث ، ملك قورينا ، قام الوالي الفارسي في مصر بارسال حملة تأديبية سنة ٥١٥ ق . م تقريباً ، وواصلت تلك الحملة سيرها غرباً حتى بلغت مدينة يوسبريدس ، مما يدل دلالة أكيدة على أن المدينة كانت موجودة فعلا في ذلك الوقت . وأقدم قطع العملة التي أصدرتها هذه المدينة يرجع تاريخها إلى ما قبل عام ٤٨٠ ق . م ، حيث يحمل أحد وجهيها نقشاً يمثل نبات السيلفيوم ، بينما تظهر على الوجه الآخر صورة دولفين (وربما تكون في ذلك اشارة الى عبادة الآله بوسيدون (Poseidon) .

ومما يدلنا على أن يوسبريدس كانت تعتمد الى حد ما على مدينة قورينا أن الملك اركيسيلاوس الرابع أرسل في عام ٤٦٢ ق . م جماعة جديدة من المستوطنين جندوا من مختلف بلاد الاغريق بقيادة صهره كاروتاس ، وكان غرضه من ذلك أن يجعل من يوسبريدس ملجأ اميناً يلوذ به اذا ما رفع أهالي قورينا راية العصيان ضد حكمه . وفعلا هرب أركيسيلاوس الى يوسبريدس حينما نشبت الثورة المتوقعة . الا أن اغتياله هناك فيما بعد يدلنا على أنه لم يجد في تلك المدينة ذلك الملاذ الأمين الذي كان يصبو اليه .

وكان المستوطنون في يوسبريدس كثيراً ما يتعرضون لهجمات القبائل الليبية التي تنزل اقليم سرت والتي كان يسهل عليها

النيل من المدينة عن طريق منطقة السهول المنبسطة المحيطة بها . ولكن البحيرة ، على أي حال ، كانت تتيح للمدينة بعض الحماية من خطر الغزو . وفي عام ٤١٤ ق . م. ضربت تلك القبائل حصاراً فعلياً حول يوسبريدس، ولم ينقذ المدينة من حصارها الا الأسطول الاغريقي الذي كان يقوده جيليبوس والذي قدم بطريق الصدفة حيث اضطرته الرياح الى اللجوء الى ميناء يوسبريدس بينما كان في طريقه الى سيراكوز . وقد أدت حالة عدم الاستقرار في هذه المدينة استقدام مزيد من المستوطنين الاغريق ، غير أن اقامتهم في برقة لم تدم طويلا اذ سرعان ما عادوا الى مدينتهم الأصلية مسيني (Messene) في سنة ٣٦٩ . وآخر مرة برزت فيها مدينة يوسبريدس على المسرح السياسي كانت في عام ٣٢٢ ق. م، وذلك عندما وقفت الى جانب برقة لمساندة المغامر الاسبرطي ثيبرون في محاولته اقتطاع امبراطورية افريقية لنفسه . ولكن مدينة قورينا وحلفاءها من القبائل الليبية تصدت لهذا الغازي الدخيل . وبعد أن مني الطرفان بسلسلة من الهزائم والانتصارات تم القبض على ثيبرون ، حيث أسره بعض الليبيين ثم قام أهالي توكره بشنقه . ولا شك أن يوسبريدس قد قاست الكثير من جراء وقوفها في صف المعسكر المهزوم .

أمـــا عن التنظيم السياسي لمدينة يوسبريدس فلدينا معلومات طفيفة مستمدة من « نقش » مهم يرجع تاريخه الى سنة ٣٥٠ ق . م ، وقد عثر عليه بمدينة بنغازي (في

مكان لا شك أنه كان داخل نطاق المدينة القديمة) . ويتضح من هذا النقش أنه كان بالمدينة مجلس أعلى للقضاء ومجلس للشيوخ . وقد حدث أن تقدم هؤلاء الأعيان الى المجلس البلدي في المدينة باقتراح يرمي الى منح مكافأة لأثنين من مواطني سيراكوز نظير ما أدياه لمدينة يوسبريدس من خدمات ولكن هذه الخدمات لم يرد ذكرها على وجه التحديد .

ولنكتف الآن بهذا القدر من الشواهد المستنبطة من الوثائق التاريخية لكي نلتفت الى الدلائل الأثرية التي كشفت عنها الدراسات وأعمال التنقيب الأخيرة في الموقع الفعلي للمدينة القديمة . ان ما بقي من يوسبريدس عبارة عن أنقاض أصابها الدمار فلم تعد تحدث في النفس أي أثر ، وذلك لأن الأتراك قد استخدموا أطلال هذه المدينة كمحجر في الفترة ما بين سنة ١٨٣٥ و ١٩١١ م ، بينما كانوايشيدون الكثير من المباني الجديدة في كل من بنغازي والبركة . والواقع أن معظم الكتابات التي تناولت موضوع بنغازي في السابق مبنية على أساس الافتراض القائل بأن يوسبريدس توجد تحت موقع خليفتها برينيتشي وبنغازي الحديثة ، مع أن عمليات الحفر التي تمت في المدينة الحديثة لم تسفر عن وجود أي أثر ينتمي الى ما قبل عهد البطالمة .

وقد حدث أن جندياً بريطانياً جمع بعض الأواني الفخارية الاغريقية من ناحية سيدي عبيد سنة ١٩٤٦ ، كما تمت عدة اكتشافات أثناء عمليات تمهيد الأرض التي قامت

بها البلدية في المقبرة سنة ١٩٥١ ، الأمر الذي لفت الأنظار الى أهمية هذا الموقع . وبدراسة عدد من الصور الفوتوغرافية التي التقطها من الجو سلاح الطيران الملكي البريطاني لأغراض روتينية تبين أن ثمة معالم واضحة لمدينة قديمة كاملة تمتد من المرتفع الذي تقوم عليه مقبرة سيدي عبيد وتتجه جنوباً نحو طرف السبخة . فقد ظهرت من الجو بوضوح شوارع المدينة ومبانيها ، بل وسورها نفسه .أما على الأرض فلم يكن يشاهد الا القليل عدا كمية كبيرة مبعثرة من الأواني الفخارية الاغريقية وكثير من الخنادق العميقة المتداخلة التي سلبها قاطعو الأحجار جل ما كانت تحتويه من كتل الحجارة . ويمكن للمشاهد أن يرى بعض الطرقات المرصوفة بحصى الفسيفساء في أماكن متفرقة بين خرائب هذه المدينةالاغريقية .

وهكذا نرى أن يوسبريدس القديمة لم تعد اليوم سوى « شبح » مدينة ، ولا سبيل لمقارنتها ، من حيث الأهمية السياحية ، بغيرها من مدن برقة القديمة . ولكنها بالنسبة لعالم الآثار تعد ذات أهمية مماثلة ان لم تكن أكثر أهمية من المدن الأخرى . وذلك لأن خلوها من المباني التي تميز عهد البطالمة او الرومان من شأنه أن يعطينا صورة صادقة لتصميم المدينة الاغريقية الأصيلة في الفترة ما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد .

وقد أجرت مصلحة الآثار بعض عمليات التنقيب في ناحية سيدي عبيد سنة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٣ ، تحت اشراف المستر

سي . ن . جونز S. N. Johns وبالاشتراك مع بعثة من المتحف الأشمولي Ashmolean Museum التابع للجامعة أكسفورد . فأدت تلك الجهود الى كشف النقاب عن كثير من معالم يوسبريدس . واتضح أن المدينة كانت في الأصل تقوم على المرتفع الموجود بالجزء المهجور من المقبرة حيث يتبين لنا بمشاهدة قطاع خلال الربوة أن المدينة جدد بناؤها أربع أو خمس مرات متوالية تمت كلها في عهد الاغريق وكانت أغلب مبانيها مشيدة بالطوب فوق أساس من الحجر ، بينما كانت أرضية الحجرات مرصوفة بالطين المرصوص الذي يتخلله العديد من قطع العملة وبقايا الأواني الفخارية المزينة بالرسوم ، كما كانت المدينة تتألف من وحدات مربعة الشكل كل منها تضم مجموعة مبان متلاصقة وتخترقها شوارع مرصوفة بالأحجار المثبتة بنوع من الطين الرمادي كان يؤخذ من أطراف البحيرة .

وعلى الأرض المنخفضة في اتجاه طرف البحيرة كان يقع القسم الحديث من مدينة يوسبريدس ، حيث يكتنفه سور ذو أبراج بارزة متباعدة . وكانت هناك شوارع فسيحة تؤدي الى مكان يتوسط هذا الجزء من المدينة ، ويرجح أنه موقع ساحة السوق في ذلك الوقت . ومنه يخرج طريق رئيسي يمر ببوابة متجهاً الى الشرق صوب مدينة برقة (المرج الحديثة) . وكل المساحة التي يغطيها هذا القسم من المدينة كانت مخططة على غرار التصميم الهيبوديمي Hippodamian

الذي يتميز بالشوارع المتقاطعة وصفوف المباني المستطيلة . وبالتالي فاننا نكاد نجزم بأن الجزء الحديث من المدينة لا يمكن أن يكون أقدم عهداً من آخر القرن الخامس قبل الميلاد .

ويبدو ان معظم مقبرة يوسبريدس كان يمتد في الجهة اليابسة من سبخة السلماني ولا يبعد كثيراً عن موقع المدينة نفسها. وفي هذا المكان اعتاد قناصل الدول الاوروبية في القرن التاسع عشر ان يقضوا اوقات فراغهم متسلين بالبحث عن الكنوز ، وكثيراً ما تكللت مساعيهم بالنجاح فعثروا على مكتشفات اثرية رائعة كتلك الزهريات الباناثينية Panathenaic التي وجدها فاتيير دى بورفيل سنة ١٨٤٨ م ، وهي الآن في متحف اللوفر . ولكن رغم ان اغلب القبور يحتمل انها قد فتحت في ذلك الوقت الا انه ليس لدينا اي دليل قاطع يحدد المكان الذي وجدت فيه وما كانت تحتويه بين طياتها ، اما الاشياء التي سلبت منها فقد تفرقت في انحاء مختلفة من العالم . ولا يزال هناك قبر أو قبران تكاد تملأهما الرمال ويمكن مشاهدتهما عند الطرف الشرقي للسبخة بالقرب من سيدي عبيد .

ويفوق معلوماتنا عن البقايا الأثرية لمدينة يوسبريدس ما نعرفه من الاساطير القديمة التي تدور حول المنطقة المحيطة بها . وهذه الاساطير تتعلق بثلاثة معالم طوبوغرافية هي : حدائق هيسبريدس (Hesperides) ونهر ليثون (او ليثي (Lethe) (Lethon) وبحيرة تريتونيس (Tritonis) . والبحث في موضوع هذه الاساطير يتطلب الاشارة الى عدد

من الكتاب بعضهم لم يظهر الا بعد مدة طويلة من انتقال المدينة الى موقعها الحالي وتغيير اسمها الى (برينيتشي) . ولكن بما انه من الواضح ان الاصول التي استمدت منها هذه الاساطير ترجع الى الفترة التي كانت فيها يوسبريدس آهلة بالسكان فمن المناسب إذن ان نتحدث عنها في هذا المجال .

فأما هيسبريدس فهو الاسم الذي كان يطلق على حارسات التفاح الذهبي ، الذي اهدته الإلهة «جي» الى هيرا بمناسبة زواجها من زيوس، وكانت اسماؤهن ايجل وايريثيا وهستيا وارثيوزا ، كما كن يتمتعن باصوات رخيمة في الغناء ، وفي حراستهن للتفاح الذهبي كان يساعدهن تنين يدعى ليدون . وكان مقرهن في البداية يعتبر على نهر اوقيانوس(Oceanus)اي في اقصى الغرب (هيسبريدس) ، ولكن بذلت فيما بعد محاولات ادت الى تعيين موقع اكثر دقة قيل انه في برقة . غير اننا لا نجد اي وصف لحديقة هيسبريدس في برقة سوى ما ذكره عنها سكايلاكس في القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث حدد مكانها قرب خليج فايكوس (بين طوليمايس وتوخيرا) ووصفها بانها « مكان غائر في الارض عمقه ١٨ قامة (٣١ متراً) وليس له مدخل، اما طوله وعرضه فلا يقلان عن ٣٥٠ متراً . وتظلل المكان اشجار كثيفة متشابكة الأغصان منها اللوتس ومختلف انواع التفاح والرمان والكمثري والتوت والكروم والريحان والغار واللبلاب . »

ولعل سكايلاكس قد حاد عن الصواب في تقديره لموقع

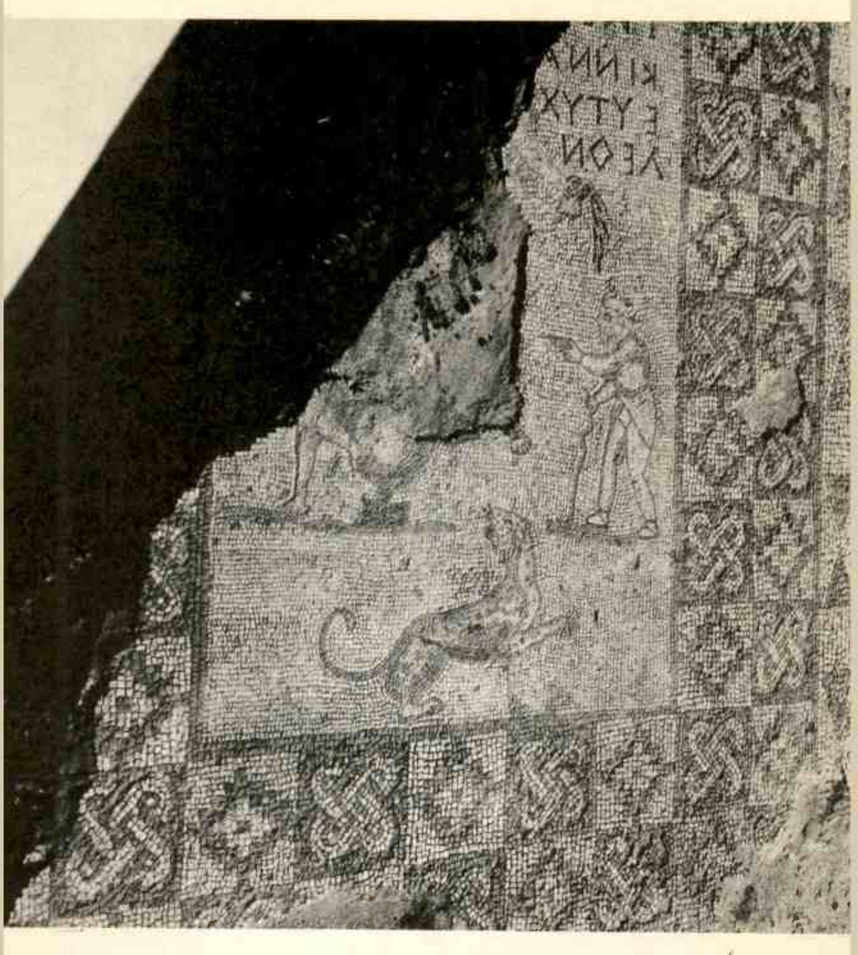




قطعة نقد تحمل صورة الملكة برنيقي ، وعلى الوجه الآخر اسمها باليونانية



رأس تمثال يقال انه للملكة برنيقي وجد سنة ١٩١٥



فسيفساء بديعة من العهد الروماني وجدت تحت مبنى بنك مصر ، في شارع عمر المختار

هذه الحديقة اذ ان الكتاب المتأخرين اجمعوا على اعتبار مكانها بالقرب من بنغازي . فيذكر بليني Pliny ان « كلا من نهر ليثون والغابة المقدسة التي تذكر بها الحديقة لا يبعدان الى الداخل كثيراً عن مدينة برينيتشي » . كما نجد ان لوكان Lucan عندما يتحدث عن اضطرار اسطول كاتو الأصغر اللجوء الى ميناء برينيتشي يشير باسلوب خيالي الى الحديقة المجاورة فيقول « انه كان يحميها في الماضي التنين اليقظ ولكنها اصبحت الآن مجدبة وقد تجردت من نباتها المورق » . ومن الواضح اذن ان التفاح الذهبي كان قد اختفى قبيل ذلك بمدة طويلة . اما من جهة موقع الحديقة فلا يكاد يخامرنا الشك في انها حسب الوصف الطوبوغرافي الذي نسبه اليها هؤلاء الكتاب انما كانت احد المنخفضات الموجودة في ناحية سواني عصمان وهي تبعد حوالي تسعة او عشرة كيلومترات شرقي مدينة بنغازي وشمالي طريق بنينه . واكبر هذه المنخفضات الجخ الكبير او ليتي كما يسمى اليوم ويبلغ طوله في الواقع زهاء ٣٥٠ متراً مع ان عمقه لا يتجاوز عشرة امتار . ويقع الجخ الكبير على مسافة سبعة كيلو مترات فقط غربي موقع مدينة يوسبريدس التي لا بد ان سكانها الاغريق كانوا كثيري التردد عليه ، الأمر الذي جعلهم يخلقون اسطورة اتصاله بهيسبريدس . ولا ريب ان وجود هذه البساتين الصغيرة المساحة الوارفة الظلال المنخفضة عن مستوى سطح السهل المجدب المنبسط حولها ساعد على خلق هذه الصورة الرومانتيكية بما فيها التفاح الذهبي والنساء

الحارسات والتنين الملازم لهن .

وبالمثل فان سكان بنغازي القدماء يبدو انهم كانوا قد اطلقوا لخيالهم العنان في تصورهم لنهر ليثون (ليثي) الاسطوري ، الذي يعني اسمه « النسيان » . فكانوا يعتقدون أن ارواح الموتى تشرب من مياه هذا النهر الذي ينساب في الطبقات السفلى من الارض فينسيها كل ما سبق ان فعلته او شهدته او سمعته . ويصف لوكان نهر ليثي في مدينة بنغازي معبراً عنه بكلمات نورد فيما يلي ترجمتها بشيء من التصرف :

« ههنا تصعد جداول ليثي الى النور من ينابيعها الخفية العميقة »

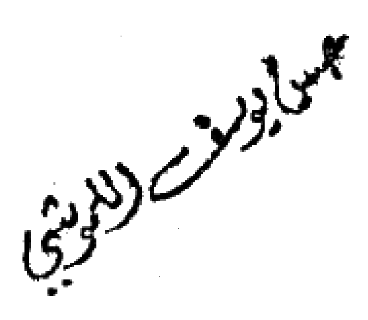
« وهنا في بطء وتؤدة تنساب مياه النسيان الساكنة الراكدة »

وليس في بنغازي أي نهر مفتوح ، كما لا توجد بالقرب منها أي قنوات جوفية بالمعنى الصحيح . الا ان الغدير الذي يوجد تحت الارض (ويعرف بمغارة ليثي) في الجخ الكبير لا ريب انه يوحي بتصور « نهر النسيان » الاسطوري . ولعل السكان القدماء كانوا يعتقدون ان مياه الجخ تجري تحت الارض نحو الشمال متجهة الى بحيرة بودزيرة المفتوحة ومنتهية الى عين زيانة (البحيرة الزرقاء) التي يصب فيها فعلا مجرى للمياه تنساب في باطن الارض .

وتعتبر بحيرة تريتونيس التي اختلف المؤرخون في تحديد موقعها ، ثالث المعالم الطوبوغرافية القديمة ذات العلاقة بمدينة يوسبريدس . وقد ورد في اساطير الأقدمين ان تريتون

Triton هو ابن بوسيدون Poseidon وامفترايت Amphitrite ، وكان يعيش معهما في قصر ذهبي في اعماق البحر . والجزء الأعلى من جسمه كان على صورة انسان بينما الجزء الأسفل منه ينتهي بذيل درفيل . وكان الشيء المميز لتريتون عبارة عن صدفة بحرية ملتوية ينفخ فيها بشدة او بلطف كلما اراد تهييج البحر او تهدئته . ولا بد ان هذا الاله كان كثيراً ما يخطر ببال البحارة القدماء الذين يترددون على ميناء بنغازي في فصل الشتاء .

وكانت بحيرة تريتونيس الاسطورية في ليبيا — وخاصة كما جاء ذكرها في اسطورة بحارة السفينة «آرجو» Argonauts — هي المقر المفضل لتريتون . وهذه البحيرة اختلف الكتاب القدماء فيما بينهم من حيث تحديد موقعها الصحيح ، اذ كان لكل منهم رأيه الخاص في ذلك . الا ان كلا من لوكان وسترابو Strabo يتفقان في تعيين مكانها عند مدينة بنغازي . اما وصف لوكان للبحيرة فهو خيالي محض ، واما سترابو فانه يعطينا معلومات اكثر دقة سنعود اليها في الفصل القادم .





الفصل الثاني

مدينة برينيتشي (برنيقي)

(٢٤٧ ق م - ٣٦٤٣)

أن مدينة بنغازي الثانية – التي أطلق عليها اسم « برينيتشي » تكريماً لزوجة بطلميوس الثالث ايوريجيتس Euergetes – عاشت حياة اطول سواء بالنسبة لسابقتها يوسبريدس او بالنسبة لمدينة بنغازي الحديثة . ولكن التاريخ المدون لهذه المدينة قليل جداً ، كما ان بقاياها الأثرية كادت تذوب برمتها في المدينة الاسلامية التي احتلت موقعها منذ القرن الخامس عشر الميلادى

وبخلاف يوسبريدس التي استكنت في موضع حصين عند نهاية بحيرة تريتونيس (السلماني) ، كانت برينيتشى تقوم في مكان بارز على شاطئ البحر فوق النتوْ الذي يفصل بين البحر والبحيرة . وهذا اللسان الداخل في البحر كان – حسب قول سترابو – يعرف باسم « سودوبينياس » Pseudopenias ، وان كان لا يوجد اى دليل على انتشار البناء فوقه قبل تأسيس مدينة برينيتشي في حوالي سنة ٢٤٧ ق . م .

والتاريخ لم يسجل لنا الظروف التي احاطت بهجر مدينة يوسبريدس القديمة وانتقال اهلها من المكان السابق عند سيدي عبيد الى طرف الراس الداخل في البحر والذي يبعد عنه بمسافة ميلين تقريباً . ولكن تراكم الرواسب تدريجياً في البحيرة التي كانت من قبل تستخدم كميناء للمدينة القديمة لا بد انه كان من اهم الاسباب المؤدية الى هذا الانتقال . ومتى تمت دراسة قطع العملة والأواني الفخارية التي عثر عليها في سيدي عبيد ، فربما يتيسر لنا على ضوء نتائجها تحديد التاريخ الذي حدث فيه ذلك الانتقال بوجه التقريب . أما في الوقت الحاضر فلا يسعنا الا الاكتفاء بملاحظة ما يجزم به الكاتب سولينوس Solinus من ان الملكة برينيتشي لم تمنح المدينة الجديدة اسمها فحسب ، بل قامت ايضاً « بتحصينها » .

وبرينيتشي هذه التي سميت باسمها بنغازي الثانية كانت ابنة ماجاس Magas حاكم برقة المستقل والأخ غير الشقيق لبطلميوس الثاني ملك مصر . ولما مات ماجاس في عام ٢٩٥ ق . م . كانت برينيتشي في الرابعة عشرة من عمرها وقد تمت خطبتها للملك المنتظر بطلميوس الثالث ، الا ان الحزب الوطني في قورينا وقف موقف المعارض ازاء تكوين أي اتحاد وثيق مع مصر ، وقام بادخال نظام جمهورى للحكم . ولم يتمكن بطلميوس الثالث من اخضاع برقة لسلطته والزواج من برينيتشى الا بعد حوالي عشر سنوات من ذلك . وقد صحبت هذا الحدث التاريخي اعادة لتسمية المدن نتج عنها ان

اصبح ميناء برقة يعرف باسم طوليمايس كما تغير اسم توكره الى ارسينوي واستبدلت يوسبريدس بمدينة برينيتشي . أما عن شخصية الملكة نفسها فنحن لا نعرف الا القليل عنها وان كانت قد خلدت ذكرها الى حد ما حين نذرت خصلة من شعرها في سبيل ان يرجع بطلميوس سالماً من حملته على سوريا سنة ٢٤٦ ق . م . فقد ذكر فلكي من الاسكندرية انه تمكن من رصد تلك الخصلة من الشعر سابحة في السماء ، حيث بقى اسم Coma Berenices او « كوكبة الذؤابة » الى يومنا هذا للدلالة على احدى مجموعات النجوم في الاطالس الفلكية .

وعندما تأسست مدينة برينتشي كانت البحيرة القديمة لا تزال متصلة بالبحر في حين أصبحت قليلة الغور جداً بالنسبة لملاحة مراكب الشحن . ويصفها سترابو بقوله انها كانت تضم جزيرة صغيرة يقوم عليها معبد للآلهة افروديت (Aphrodite) . والذي يبحث اليوم عن وجود مثل هذه الجزيرة في سبخة السلماني انما يضيع جهده سدى . ومن ثم ليس أمامنا سوى أن نميل الى الظن بأن سترابو كان بالأحرى يقصد الاشارة الى نتوء بارز نحو داخل البحيرة . وأرجح مكانين لموقع هذه « الجزيرة » المزعومة هما منطقة سيدي حسين في طريق البركة وناحية سيدي عبيد حيث موقع مدينة يوسبريدس التاريخي . ولكن لم تكشف الى الآن أية آثار تدل على الوجود التاريخي للمعبد المذكور في أي من هذين الموقعين . وهناك رأي آخر مؤداه أن المعبد كان مشيداً على الجزيرة الصغيرة التي في

وسط بحيرة بودزيرة (او بركة رومل) . والمنطقة المحيطة بالمدينة يبدو أنها كانت غنية بالثمار ، اذ أن بطلميوس السابع (الشهير باسم فيسكون) حدث أنه قام باخماد ثورة نشبت في برقة ، وذكر فيما كتبه عنها أن جنوده استساغوا كثيراً طعم ثمار « الحرشوف » الذي ينبت في ناحية بنغازي . كما ذكر أيضاً أن نهر ليثون كانت توجدفيه أسماك وفيرة منها ثعابين الماء وسمك القروص ونوع من السمك يشبه المرجان . و لكن ربما يمكننا القول بأنه في حديثه عن ليتون كان يعني الغدران والبحيرات المنتشرة في المنطقة، ولم يكن يقصد المغارة المظلمة التي توجد في الجخ الكبير والتي لا يعيش فيها اليوم سوى نوع من« الجمبري » الشفاف اللون .

أما من حيث المظاهر الطبيعية لهذه المدينة التي انشئت تكريماً للملكة برينيتشي فان الصورة التي لدينا تعد ناقصة للغاية ، غير أن موقع المدينة تحدد بوجود معالم جغرافية معينة . فهي كانت الجزء الأوسط من مدينة بنغازي الحديثة وتمتد رقعتها من الميناء الى الفندق في اتجاه الشمال الشرقي ومن المنارة الى الملعب الرياضي في اتجاه الجنوب الشرقي .

والذي ظهر من آثار المدينة شيءٌ قليل لا يكاد يلفت النظر ، فلم يبق منها للزائر ما يشاهده . بيد أن تاريخ الاكتشافات يشير الى أن هذه المدينة الاغريقية الرومانية كانت تتصف بنفس سمات غيرها من المدن الرئيسية التي حظيت بقسط أوفر من الصيانة في برقة القديمة . وحتى في القرن التاسع عشر عندما بدأ اهتمام

الرحالة الاوروبيين بآثار برينيتشي لم يكن يبدو للعيان من تلك الآثار سوى بعض البنيان العتيق الذي كان يشكل أساس القلعة التركية . ولكن وجدت في جدران المنازل الحديثة كثير من القطع الحجرية المنحوتة وغيرها . كما عثر بعض المنقبين المثابرين على كميات من الجواهر وقطع العملة عند ربوة كانت تقع على الشاطئ قرب مكان المنارة الحالية وقد بيع الكثير من تلك الأشياء الى القناصل الأجانب فتكونت لديهم مجموعة ضخمة . وفضلاً عن ذلك اكتشف بجوار عين السلماني في سنة ١٩٠٢ م تمثال جميل لأفروديت انتقل فيما بعد الى حيازة الدكتور بيرود (Perrod) ، ومنه الى متحف اللوفر حيث يوجد الآن .

وقد كثرت الاكتشافات التاريخية على أثر الاحتلال الايطالي وما اعقبه من نشاط عمراني ، وأولى الآثار القديمة التي وضعت عام ١٩١٢ م. بمتحف بنغازي الجديد (الذي ظل حتى سنة ١٩٢٩ يحتوي أيضاً على تماثيل شحات) كانت بينها تماثيل مكسوة بعض موضوعاتها من الذكور والبعض الآخر من الاناث وقد عثر عليها أثناء الحفر قرب الفندق . ولما بدأ هدم القلعة التركية في سنة ١٩١٤ اكتشفت مجموعة من قطع العملة تضم ١٠٠ قطعة برونزية . وبعدها بتسع سنوات وجد تحت مقر البلدية تمثال من الرخام لرأس الامبراطور تيبيروس(Tiberius) وكذلك بعض الأرصفة المشكوك في حقيقة أصلها .

ونظراً لأن الأحياء الحديثة التي أنشأها الايطاليون أقيمت في

معظمها على أرض سبق استصلاحها فان تشييد المباني الجديدة لم يؤد الى الكشف عن آثار كثيرة لمدينة برينيتشي الا على جانبي شارع عمر المختار (أو شارع روما سابقاً). ففي عام ١٩٣٢م. أزيلت مقبرة اسلامية قديمة كانت تجاور هذا الشارع ، ونتج عن ذلك أن ظهرت أسوار كثيرة وعدة أرضيات مرصعة بالفسيفساء. وقد وجدت كلها تحت العمارة التي كانت تعرف في ذلك الحين باسم « بنك التوفير » (Cassa di Risparmio) ويشغلها الآن « بنك مصر ». وهذه المباني كانت في اتجاه منحرف بالنسبة للعمارة الحديثة التي تقوم فوقها. ويبدو من ذلك أن تخطيط المدينة القديمة كان له نسق يختلف عن تنظيم بنغازي الحديثة . وعلى الجانب الآخر من شارع عمر المختار تحت عمارة التأمين الجديدة التي تم بناؤها سنة ١٩٤٠ م . وجدت أرضية كاملة تقريباً ومزينة بالفسيفساء ويتصدرها اطار بداخله صورة ولكن هذه الأرضية الأثرية أصابها الدمار في أثناء الحرب . وقد عثر أيضا على مجموعة تضم ١٥٠٠ من قطع العملة التي يرجع تاريخها الى العهد الروماني (من عصر فلافيان الى هادريان) ونجدها الآن في متحف شحات .

وهناك آثار مهمة أخرى تشمل بعض الأسوار والقبور اكتشفت في ١٩٣٣ – ١٩٣٤ م . أثناء بناء العمارة المجاورة لمقبرة سيدي حسين والتي تقع تقريباً في مواجهة محطة السكك الحديدية . كما أن اعمال التنقيب التي جرت في عام ١٩١٣ م. عند موقع مفلوقة (Maf luga) – وهي تبعد قليلا عن سيدي

حسين في اتجاه الجنوب الشرقي ـ أسفرت عن اكتشاف كثير من القبور التي لم تمسها يد الزمن وكانت تحتوي على أوان فخارية وتماثيل صغيرة الحجم . ومن الجلي أن هذه المنطقة كانت أحد المدافن الرئيسية في مدينة برينيتشي وربما كان الموتى ينقلون اليها في عوامات تعبر بهم البحيرة من المدينة نفسها . وعثر على بقايا أثرية أخرى في الضواحي الشمالية لبنغازي ، أي بناحية « الصابري » . وتشمل هذه الآثار المكتشفة صورة بارزة يبدو أنها تمثل فصلا من قصة بحارة السفينة « آرجو » ونقشاً يشير الى الاله ايسكولابيوس (Aesculapius) الذي ربما كان له معبد قرب ذلك المكان. وفضلا عن ذلك وجدت قبور ترجع الى عهد الاغريق والرومان الى جانب لحود أقدم منها عهداً تعود الى أيام مدينة يوسبريدس . وهذه كلها عثر عليها بجانب سبخة السلماني وخاصة عند موقع قلعة ارتيزيانو (Forte Artesiano) سابقاً وتحت ثكنات الجيش بالبركة .

ولا يكاد يخالجنا أدنى شك في أن هناك آثارا أخرى لمدينة برينيتشي لم يكشف عنها النقاب بعد ، وربما كانت أكثر المخلفات الأثرية تماسكاً توجد تحت مقبرتي سيدي حسين وسيدي خريبيش الاسلاميتين. أما في الجهات الأخرى من المدينة القديمة فينبغي فرض رقابة شديدة على كل عمليات البناء الكبرى التي تتطلب حفر أسس عميقة لها . ولعل العمق الذي كانت عليه برينيتشي بالنسبة لمدينة بنغازي الحديثة لم يكن بالقدر الذي يتبادر الى الأذهان . فالفسيفساء التي كانت تحت عمارة التأمين

وجدت على عمق لا يزيد عن متر واحد من المستوى الحالي للشارع ، في حين أن الآثار التي اكتشفت تحت عمارة بنك التوفير سابقاً كانت في الواقع أعلى من مستوى الشارع بقليل وأزيلت بأكملها عند تشييد العمارة المذكورة .

وهناك نقشان يوجدان الآن في فرنسا بعد أن تم العثور عليهما منذ مائتي سنة ، ويعتبران مصدراً يمكن أن نستخلص منه بعض المعلومات القليلة عن مدينة برينيتشي. ويشير كل من هذين النقشين الى وجود مسرح مدرج في المدينة كما أن أحدهما يسجل أسمى مظاهر التكريم الذي قدمته الجالية اليهودية هناك الى الحاكم الروماني ماركوس تيتيوس سيكستوس (Marcus Tittio Sextus) تقديراً لعدله وحسن ادارته . وفي ذلك الوقت (أي في سنة ٥٥ من العهد البرقاوي التي توافق عام ٢٤ ــ ٢٥ م) كان يتزعم الطائفة اليهودية تسعة شيوخ (Archons)، ويظهر أنها كانت منعزلة عن الغالبية العظمى من المواطنين في برينيتشي. ولكننا ــ لسوء الحظ ــ لا نعرف المكان الذي وجد فيه هذان النقشان، ومن ثم فان موقع المسرح المدرج في مدينة برينيتشي القديمة بقي لغزاً محيراً حتى يومنا هذا .

وكذلك عثر في سنة ١٩٤٠ على لوح رخامي ــ تحت مبنى عمارة ماجانزا (Piazzo Maganza) في شارع عمر المختار ــ يشير هو الآخر الى الجالية اليهودية بمدينةبرينتشي اذ جاء فيه أن كنيس اليهود تم اصلاحه سنة ٥٦ م . وحيث أن النقوش

الوحيدة التي تخلفت لنا عن عهد الرومان في مدينة برينيتشي تحتوي كلها على ذكر للجالية اليهودية فانه يمكننا أن نميل الى الظن بأنها في تلك المدينة بالذات كانت أكثر عدداً وأكبر نفوذاً منها في أي مدينة أخرى من المدن الخمس .

ويمكننا أن نفترض أن العصر الروماني — الذي بدأ سنة ٧٥ ق . م — قد خلف في برينيتشي عدداً من المباني العامة الجديدة مثلما حدث بالنسبة لبقية مدن برقة . الاّ انه من غير المحقق ، بل ومن المحال ، أن تكون المدينة قد تجاوزت في أي وقت من الأوقات الحدود التي رسمتها لها الملكة برينيتشي . وعلى العموم فان مدن برقة لا يبدو أنها اتسعت كثيراً أثناء عهد الرومان ومن المحتمل أن مدينة برينيتشي قد تعرضت لضربة عنيفة من جراء ثورة اليهود في سنة ١١٥ — ١١٦ م ، تلك الثورة التي أدت الى حدوث مذابح في جميع أنحاء الولاية . ومع أنها بلا ريب قد حظيت بنصيب مما قام به الامبراطور العظيم هادريان من أعمال الاصلاح والتنظيم ، الاّ أن مركزها تأثر الى حد ما بتأسيس مدينة هادريانوبوليس الجديدة في منطقة تنسلوخ — دريانة ، أي على مسافة لا تتجاوز أربعين كيلو متراً . ولكن تلك المدينة الجديدة لم يكن لها ميناء . كما يظهر أن عملية تشييدها لم يحالفها التوفيق اذ أن الآثار التي بقيت منها تبدو اليوم مضللة الى درجة كبيرة حتى أنه ليخالجنا الشك في تحديد موقعها بالضبط .

أما بالنسبة لمدينة برينيتشي فالظاهر أنها ظلت مزدهرة الى

نهاية العهد الروماني . وكان لها أسقف مسيحي اسمه أموناس في عام ٢٦٠ م ، كما حدث في سنة ٣٢٥م. أن ذهب أسقف المدينة داكيس لحضور مجلس نيقيا (Nicaea) الهام اسوة بأساقفة طوليمايس ، وتوكرة ، وبرقة ، وانتيبيجروس (طبرق) . وكانت برينيتشي أيضاً مسقط رأس اندرونيكوس (Andronicus) وهو صياد سمك قدّر له أن يتبوأ منصب حاكم المدن الخمس في سنة ٤١٠م، وكان العدو اللدود للأسقف ساينيسيوس (Synesius) . ولكن ما حدث من احتلال « الوندال » لطرابلس بعيد سنة ٤٥٥م . لا بد أنه قد عرّض سواحل برقة لهجمات القراصنة . ففي القرن السادس الميلادي وجد الامبراطور البيزنطي جوستنيان أنه من الضروري اعادة بناء أسوار مدينة برينيتشي وترميم او تشييد حمام جديد بالمدينة .

وبعد هذه النبذة التاريخية الأخيرة لا نجد ذكر لأي مدينة قامت في موقع مدينة بنغازي الحالية طيلة فترة تربو على ٨٠٠ سنة، وان كانت تسمية المدينة قد ظلت على قيد الحياة بلا انقطاع متخذة اسم « برنيق » . ومن المؤكد ــ بطبيعة الحال ــ أن مدينة برينيتشي انسلخت عن جسم العالم الروماني والبيزنطي الى الأبد عندما فتح الجيش العربي برقة بقيادة عمرو بن العاص في سنة ٦٤٣ م . ومن المحتمل أن المدينة عاشت لمدة قرن آخر تقريباً حيث كانت مأهولة بالسكان الأقباط تحت الحكم العربي فكل ما نستطيع أن نجزم به هو أن حياة الاستقرار داخل المدينة قد اندثرت نهائياً قبل حلول عام ١٠٠٠ بعد الميلاد .

الفصل الثالث

بنغازي بين العصور الوسطى والحديثة

---

(١) من برنيق الى بنغازي (٦٤٣ – ١٧١١م)

أن تاريخ مدينة بنغازى الاسلامية قبل الحكم القرهمانلي يفتقر كثيراً الى الوثائق والأدلة التاريخية الثابتة . فنحن لا نعرف الى متى بقيت مدينة برينيتشى القديمة آهلة بالسكان بعد أول مجيء للعرب (سنة ٦٤٣ م) ، ولكن من المؤكد أنه لم يحل القرن الحادي عشر الميلادي الا وقد أصبحت مجرد أكوام من الخرائب خالية من السكان المستقرين . والجغرافي « البكري » لا يشير الى « برنيق » من قريب أو بعيد مع أنه يتطرق كثيراً الى ذكر مدينتي برقة (المرج) واجدابيا اللتين كانتا من المراكز الهامة إبان عهد الفاطميين وكذلك فان « الادريسى » – الذي وضع مؤلفاته خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر – لا يذكر عن «برنيق» سوى كونها جهة معينة يطلق اسمها على كل الأقاليم الواقع بين برقة واجدابيا ، فهو لم يشر اطلاقاً الى وجود أية مدينة آهلة بالسكان عند موقع

برنيق . وعلى أية حال ، فقد كانت هناك قلعة عند كافيس (Kafis) بالقرب من القوارشة، ولا زالت تشاهد الى اليوم .

ولكن بعد أفول نجم مدينة اجدابيا (الذي ظهرت بوادره منذ أيام الادريسي نفسه) وبعد أن ترتب على ذلك هجر مينائها ، بدأت برنيق تحتل مكاناً مرموقاً ، حتى أننا نجد اسمها على الخرائط التي كان يهتدي بها الملاحون الاوروبيون من القرن الثالث عشر فما بعد ، وهي الفترة التي ظهر في مستهلها كتاب (Compasso da Navigare) حوالي سنة ١٢٥٠ م. وتذكر لنا الروايات التاريخية المتوارثة أن موقع المدينة القديمة لم تبدأ اعادة بنائه الا سنة ١٤٥٠ م تقريباً اذ قام بذلك تجار من طرابلس كانوا يتعاملون مع مدينة درنة والمراكز الساحلية الأخرى . ويقال إن اوائل السكان الجدد قدموا من مدن تاجوراء وزليطن ومن منطقة مسلاته ، ثم طردوا من المدينة على يد المستوطنين الذين نزحوا اليها من مصراته . وهؤلاء انقسمت المدينة في عهدهم الى قسمين أحدهما يعرف بحي فكرون والآخر يسمى بحي ادغيم، وقد ساد بينهما التنافس والنزاع المستمر .

واسم برنيق القديم (وهو لا يزال شائع الاستعمال لدى بربر الواحات الجنوبية الى اليوم) أخذ يفسح الطريق تدريجياً لاستبداله باسم مرسى ابن غازي الذي ظهر الى حيز الوجود لأول مرة عام ١٥٧٩ م اذ ذكر على خريطة للعالم رسمها علي بن أحمد الشريف الصفاقسي . أما عن ابن

غازي نفسه فلسنا نعرف شيئا سوى أن قبره موجود بمقبرة سيدي خريبيش الاسلامية القديمة . ويمكننا أن نذهب الى الظن بأن اطلاق اسم هذا الولي الصالح على الميناء (أو المرسى) انما يرجع الى وجود قبره على مقربة من المكان .

واحتلال الأتراك للقاهرة وطرابلس في عامي ١٥١٧ و ١٥٥١ م على التوالي كان من نتائجه أن صارت برقة هي الأخرى تدور في فلك الحكم العثماني . الا أن اخضاعها لذلك الحكم لم يصبح حقيقة واقعة الا بعد قرن من الزمان، أي عندما قام محمد الساقزلي - باشا طرابلس - بارسال قائده وخليفته عثمان بلك لاحتلال برقة في سنة ١٦٣٨ . وما ان وصلت تلك الحملة التركية حتى سخرت ثلاثمائة أسير مسيحي للشروع في تشييد قلعة عند مدينة بنغازي ، بينما طاف عثمان بلك بأرجاء هذه الولاية الجديدة يجمع الأتاوة من سكانها . ولما تم بناء القلعة تركت فيها حامية عسكرية تحت اشراف باي بنغازي ، ذلك المنصب الذي ربما كان أول من تقلده هو يوسف بلك الذي صحب عثمان بلك الى العقيلة في حملته المظفرة سنة ١٦٤٠ م .

(٢) العهد القرهمانلي (١٧١١ - ١٨٣٥)

ان حكام طرابلس القره مانليين - الذين استولوا على مقاليد الأمور سنة ١٧١١ م - حذوا حذو سابقيهم الأتراك في

نظرتهم الى برقة على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ من ممتلكاتهم، غير أن جل اهتمامهم بهذه الولاية اقتصر على اغتصاب الضرائب من رجال القبائل ومن التجار . ولهذا الغرض ظل « بايات » بنغازي يعينون من طرابلس واتخذوا من قلعة بنغازي مقراً لهم، حيث كان يقيم أيضاً جنود الوالي . وكانت القلعة عبارة عن بناية مربعة الشكل تقوم عند ثلاثة من أركانها أبراج دائرية ، بينما يوجد عند الركن الرابع مجمع سكني يطل على البحر ويفوق الأبراج ارتفاعاً . والمدافع التسعة التي سلح بها الحصن كانت موجهة نحو الداخل صوب المدينة اما الزاوية المواجهة للبحر فلم تكن بها أية استحكامات دفاعية، مما يدل على أن الباي كان يخشى حدوث القلاقل في داخل البلاد أكثر من توقعه مجيء الغزو من ناحية البحر . والأجزاء السفلى من القلعة كانت مشيدة على أنقاض بناء قديم متماسك ، أما الأجزاء العليا فكانت اقل متانة ، لدرجة ان الباي نفسه طلب من ربان احدى السفن الحربية الزائرة عدم اطلاق المدافع للتحية المعتادة في مثل هذه المناسبات ، وذلك خوفاً من أن يؤدي الاهتزاز الى تهدم أسوار القلعة .

وفي سنة ١٨٢١ م كان والي برقة هو خليل بك صهر يوسف القرەمانلي وكان شخصاً مرحاً سليم الطوية . الا أنه – نظراً للمسئوليات الملقاة على عاتقه – كان في موقف لا يحسد عليه . فمن جهة كان الباشا يلح في طلب الأموال بلا انقطاع ليملأ خزائنه الخاوية في طرابلس ، ومن الناحية

الأخرى كانت القبائل البدوية في برقة تبدي نفوراً لا تلام عليه ازاء دفع الضرائب دون الحصول على أي مقابل من مزايا الحكم . وأخيراً انتهى الأمر بعزل خليل بك من منصب الوالي . ويقول الأخوان « بيتشي » (Beechey) فيما كتباه عن ذلك أنه « ربما وجد في خلعه مدعاة للغبطة والابتهاج اذ انه لو بقي في منصبه مدة أطول لأصبح في حكم المؤكد أن ينزل به الخراب بسبب ما كان يتعرض له من الحاح الباشا المتواصل في طلب الأموال والبضائع بشكل لا هوادة فيه » .

والى جانب هذا الضغط المالي المستمر تميز العهد القره مانلي في مدينة بنغازي بتكرر حدوث المجاعة وانتشار الأوبئة والفوضى السياسية . فعندما جاء الرحالة جيمس بروس (James Bruce) لزيارة بنغازى سنة ١٧٦٧ م . وجد أن حرباً نشبت بين قبيلتين محليتين قد أدت الى حرمان المدينة من مواردها العادية المتمثلة في الحبوب والألبان واللحوم مما ترتب عليه أن أصبح سكانها يموتون جوعاً . ومما زاد الطين بلة أن القبيلة المهزومة ــ وهي قبيلة أولاد عبيد ــ كانت قد لجأت الى المدينة فصار ازدحام السكان عاملا يزيد من حدة ويلات المجاعة

وكذلك فان الرحالة الجنوي باولو ديلا تشيلا (Paolo della Cella) الذي رافق جيش الباشا من طرابلس الى بنغازي سنة ١٨١٧ م. قد ترك لنا وصفاً محزناً للأسلوب

الانتقامي الذي اتخذه باي بنغازي في ذلك الوقت ضد رجال قبيلة الجوازي بعد ثورتهم على الحكم القرهمانلي . فتحت ستار من المهادنة الزائفة دعي رجال القبيلة الى قلعة بنغازي للأنعام عليهم ببرانيس حمراء تكون رمزاً لحظوتهم لدى الباشا . وبينما رابطت القبيلة بأجمعها خارج المدينة ، دخل القلعة ٤٥ من أعيانها ومشايخها . وهناك بسطت لهم موائد الطعام ، فلما جلسوا اليها حمل عليهم جنود الحرس الخاص للباي فذبحوهم عن بكرة أبيهم . وفي الوقت نفسه هوجم معسكر القبيلة وقتل عدد كبير من النساء والأطفال .

ولم تفق قبيلة الجوازي قط من أثر هذه الضربة القاضية. فالذين بقوا على قيد الحياة من أفرادها انضموا الى المجموعات القبلية الأخرى ، حتى اننا اليوم نجد اسم القبيلة الأصلي قد زال من الوجود تماماً . وعن قصة ذلك القمع الارهابي نشأت اسطورة لطيفة تدور حول المرابط سيدي علي الوحيشي الذي يوجد ضريحه قرب ميدان البلدية . فيحكى أن بعض أفراد قبيلة الجوازي لاذوا بهذا المكان المقدس ، ولم يجرؤ الباي على انتهاك حرمته ، غير أنه « أي الباي » كان يأمل القضاء عليهم جوعاً . وبعد ثلاثة أيام من منع مقومات الحياة عنهم حدثت معجزة في ضريح المرابط اذ ظهرت هناك ساقية ماء (وفي رواية أخرى أنها جرة مملوءة بالماء) ، كما وجدت مبعثرة على الأرض بعض التمور والمأكولات الأخرى . وهكذا نجا المحتمون بضريح هذا الولي الصالح ، مما أدى الى اعلاء

شأنه والى التقليل من مقام الباي المتعطش لسفك الدماء .
وقد خلف لنا الرحالة المعاصرون عدة أوصاف لمدينة بنغازي أبان العهد القره مانلي كما أن الأخوين بيتشى (Beechey) – اللذين كانا مثالاً للجد في البحث والدراسة – تركا لنا خريطة قيمة للمدينة . وفي ذلك الحين (أي في سنة ١٨٢١م) بلغ عدد سكان المدينة ٢٠٠٠ نسمة من ضمنهم نسبة لا يستهان بها من اليهود والعبيد الزنوج الذين كانوا يستجلبون من الجنوب ولم تكن هناك أية ضواحي على الاطلاق ، فمباني المدينة كانت محصورة في المساحة التي يحيط بها شاطئ البحر ، وشارع عمرو بن العاص حالياً (أي شارع الملكة « Via Regina » سابقاً) ومقابر سيدي خريبيش وسيدي الشريف . وتلك المساحة كانت تقريباً هي نفس المنطقة التي قامت عليها مدينة برينيتشي القديمة من قبل ، بل أن غالبية مباني بنغازي انما شيدت بأحجار المدينة القديمة حيث كانت تلك الأحجار تجزأ الى قطع أصغر حجماً ثم تثبت بالطين .
وكان تصميم البيوت في هذه الفترة من تاريخ المدينة بسيطاً للغاية ، فالمنزل عبارة عن دور أرضي يضم عدة حجرات مرتبة حول فناء مربع مفتوح . أما أسطح البيوت فكانت تتكون من قش البحر الذي يوضع على حصر مفروشة فوق عوارض من خشب الصنوبر . وأخيراً يغطى السطح بالطين الجاف أو يكسى بالجير اذا كان الساكن على درجة من

الثراء . ونتيجة لذلك فان أمطار الشتاء الغزيرة كانت تسبب خسائر كبيرة مثلما حدث في عام ١٨٢١ حيث أصيب بعض السكان بأضرار بالغة من جراء انهيار المنازل فوق رؤوسهم . وكذلك فان حالة المدينة لم تكن على ما يرام من الناحية الصحية ، فمدينة بنغازي في ذلك الوقت كان ينتشر بها الذباب انتشاراً ملفتاً للنظر .

ورحالة القرن التاسع عشر الذين كتبوا في وصف مدينة بنغازي لم يذكروا الا القليل عن مساجد المدينة . وأقدم هذه المساجد هو الجامع الكبير (أو العتيق) الذي يوجد بميدان البلدية والذي بناه عبد السميع القاضي في أوائل القرن السادس عشر بعد أن أعيد بناء مدينة بنغازي بمدة قصيرة . وقد قام المتصرف التركي طاهر باشا بتجديد معظم بنائه في نهاية القرن التاسع عشر ، ثم رممه الايطاليون على أثر الغارات التي تعرضت لها المدينة سنة ١٩١٢ م . ولذا فانه ليس من السهل تكوين صورة دقيقة لما كان عليه مظهره الأصلي . أما المساجد الأخرى التي ترجع الى العهد القرهمانلي فهي جامع العقيب وجامع الشيباني وجامع بوغلاز وجامع الدراوي . ولكن أغلب هذه المساجد ــ ان لم تكن كلها ــ قد أدخلت على بنائها تعديلات مختلفة خلال القرن الماضي .

(٣) عودة الاحتلال التركي (١٨٣٥-١٩١١)

ان سقوط أسرة القرهمانلي في ١٨٣٥م وما تلاه من عودة الاحتلال التركي كان ايذاناً ببدء عهد من الازدهار بالنسبة لمدينة بنغازي وهذا يبدو لنا واضحاً من المقارنة بين الصورة القاتمة نوعاً في وصف الأخوين بيتشي للمدينة وبين الصورة الأخرى الأكثر اشراقاً التي رسمها لها جيمس هاملتون (James Hamilton) في عام ١٨٥٠ م ، حيث بلغ عدد منازل المدينة ١٢٠٠ منزلاً تأوي ما يقرب من ١٠٠٠٠ نسمة. وكانت هذه المنازل من حيث بساطتها تشبه مثيلاتها في العهد القرهمانلي . الا أن بعضها كان يحتوى على طوابق عليا ومساحات مرصوفة أما القلعة فقد أعيد بناؤها في عام ١٨٤٢ م على نفس الطراز القديم غير أنها أصبحت أكثر رحابة وطليت باللون الأبيض .

وأبرز مظاهر التقدم في مدينة بنغازي تجلى في الميدان الصحى اذ أن الأتراك عينوا طبيباً المانياً موهوباً ليتولى مهمة الاشراف الصحي في المدينة . وبفضل الدقة الشديدة التي تميزت بها تلك الرقابة الصحية أصبحت مدينة بنغازي من أرقى مدن شمال افريقيا في المجال الصحي . وقد كتب هاملتون عن هذا الطبيب فقال : « ان كلمته لها نفاذ القانون في كل

مبنى كلية التجارة والاقتصاد في الجامعة الليبية في بنغازي(قصر المنارسابقاً)



الميدان الكبير امام سينما برنيتشي الحديثة



الأمور المتعلقة بتنظيف الشوارع وإزالة ما يضايق الجمهور ، فاللحم لا يعرض للبيع في السوق ما لم يفحص الطبيب المواشي قبل ذبحها . كما أن دفن الموتى لا يتم الا بموجب شهادة منه ، وان كان لا يقوم بفحص جثة الميت الا اذا اشتبه في أن سبب الوفاة هو الطاعون أو غيره من الأمراض المعدية » . وقد حدث فيما بعد أن المدينة اجتاحها وباء الطاعون في سنة ١٨٥٨ م. ثم في سنة ١٨٧٤ م ، غير أن تكرر انتشار الأوبئة كان آخذاً في النقصان باستمرار . كما لاحظ هاملتون أنه بالرغم من عدم وجود ثراء فاحش في مدينة بنغازي فكذلك لم يكن بها فقر مدقع ، حتى أن هاملتون لم يشاهد أبداً أي شحاذ يجوب شوارع المدينة .

وفي البداية أسند الأتراك حكم مدينة بنغاري الى قائمقام (أو باي) يتبع باشا طرابلس من الناحية الادارية . ولكن بعد سنة ١٨٦٣ م. تولى حكم برقة متصرف أو وال مسئول أمام القسطنطينية مباشرة . وكان خليل باشا أول هؤلاء الولاة (حيث تولى الحكم من ١٨٦٣ الى ١٨٦٨ م) وأحدث تغييرات جذرية في ادارة كل من ولاية برقة وعاصمتها مدينة بنغازي اذ قسّم المدينة الى ١٢ محلة . وكذلك فان رشيد باشا (١٨٨٢ — ١٨٨٥ م. ثم ١٨٨٩ — ١٨٩٣م) وطاهر باشا من بعده (١٨٩٣ — ١٩٠٤ م) كانا أيضاً حاكمين نشيطين بذلا جهداً كبيراً في سبيل رفع مدينة بنغازي الى مصاف المدن العصرية ، كما كانا موضع تقدير أهل المدينة لما عرف

عنهما من عدل ونزاهة .

وقبيل نهاية الحكم التركي ادخلت معالم جديدة على طوبوغرافية مدينة بنغازي . وكان أهم هذه التجديدات انشاء ضاحية البركة وربطها بمدينة بنغازي بواسطة طريق مرتفع عبر الحاجز الرملي الفاصل بين سبخة عين السلماني وبين الميناء القديم . وقبل سنة ١٨٨١ م. بدأت تظهر الى حيز الوجود بعض القرى حول مقابر سيدي حسين وسيدي داود لتستوعب الزيادة في عدد السكان (الذي وصل الى ٢٠٠٠٠ نسمة خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر) ، كما كان الحاكم التركي يملك حديقة في ناحية البركة . فلما جاء رشيد باشا وطاهر باشا فيما بعد قاما بتشييد ثكنات عسكرية كبيرة في تلك المنطقة . بالاضافة الى بناء قصر للحاكم ومستشفى عسكري بدلا من المباني المكتظة الغير لائقة في القلعة القديمة عند الميناء . وفي عام ١٨٩٩ تم مد أول خط للسكك الحديدية في برقة ، وهو خط ضيق انشئ لربط الميناء بمحاجر سيدي داود التي تبعد عنه بمسافة ٦ كم . وفي تلك الأثناء شيد أيضاً عند الميناء رصيف صغير ومنارة لهداية السفن وذلك من أجل زيادة امكانيات الميناء . أما بالنسبة للمدينة نفسها فقد أقيمت بها عدة مساجد كما تم ترميم جوامع أخرى . وكذلك شيّدت فيها دار للبلدية تتكون من ثلاثة طوابق صغيرة لكنها جميلة المنظر ، استبدلت فيما بعد (أي في سنة ١٩٢٢ على وجه التحديد) بعمارة أكبر حجماً

شيدها الايطاليون . وهي دار البلدية في الوقت الحاضر .
وأهم الأحداث التي وقعت خلال هذا العهد العثماني الثاني من حيث علاقتها بتاريخ برقة المعاصر يتجلى في تأسيس وتدعيم الحركة السنوسية وأولى الزوايا السنوسية أنشأها السيد محمد بن علي السنوسي في البيضاء عام ١٨٤٣ م . وفي العشرين عاماً التي أعقبت ذلك التاريخ أسست الطريقة السنوسية عدداً من الزوايا الأخرى في مختلف أنحاء برقة ، وخاصة في الأماكن البعيدة عن تأثير سلطة الأتراك . ففي باديء الأمر كان هناك شعور قوي من الريبة يسود جو العلاقات بين الأخوان السنوسيين وبين السلطات التركية . غير أن ذلك الشعور سرعان ما أخلى الطريق لقيام التعاون بينهما في سبيل رفع راية الاسلام عندما تعرضت البلاد لغزو جاءها من دولة مسيحية .

أما بالنسبة لمدينة بنغازي بالذات فقد وجدت فيها زوايا تمثل عدة طرق صوفية اسلامية — منها العروسية والعيساوية والرفاعية والسعدية — قبل انتشار الحركة السنوسية بوقت طويل . ذلك أن أول زوايا سنوسية في هذه المدينة لم تؤسس الا سنة ١٨٧٠ ، حيث أصبح شيخها يعتبر سفيراً للطريقة السنوسية لدى بلاط الحاكم ، كما كان الأتراك يسترشدون برأيه في الأمور التي تتعلق بالزوايا السنوسية في الدواخل . وقد سبق لنا أن تطرقنا الى الحديث عن المساجد القديمة . فلم يبق أمامنا الآن سوى الاشارة الى كنيس اليهود الذي شيده

«راحمين جارجيون» في شارع المهدوي حوالي سنة ١٨٥٠ م. وكذلك التنويه بأول كنيسة مسيحية وهي التي أقامتها ارسالية الفرنسيسكان عام ١٨٧٢ م .

(٤) الاحتلال الايطالي (١٩١١ ـ ١٩٤٠)

ان القرار الذي اتخذته ايطاليا بغزو ليبيا وتحويلها الى مستعمرة ايطالية بدأ تنفيذه عندما نزلت قوات الغزو في طرابلس يوم ٢٦ سبتمبر ١٩١١ م . وبالرغم من تأخر وصول النبأ الى بنغازي فقد كان واضحاً في الأذهان أن الهجوم البحري على وشك الحدوث . فالرعايا الايطاليون الذين كانوا يقيمون في مدينة بنغازي ـ ومجموعهم حوالي ٧٠ نسمة ـ تيقظوا للخطر فغادروا المدينة عن طريق البحر . أما القوات العسكرية التركية المرابطة في المدينة فكانت لا تتجاوز ٢٠٠ جندي من المشاة ، و ٨٠ آخرين من سلاح الفرسان ، كما كان عتادها الحربي لم يكن يتعدى ١٨ مدفعاً . ومع ذلك تأهبت لمقاومة الغزاة ورحبت بتطوع الآلاف من رجال القبائل الداخلية .

وفي فجر يوم ١٨ اكتوبر وصلت سبع طرادات ايطالية معها عشرون سفينة من ناقلات الجنود ورابطت كلها قرب بنغازي، وأعطى قائد الاسطول الأميرال أوبري (Aubry)

مهلة أربع وعشرين ساعة كي تذعن المدينة خلالها لشرط التسليم . ولكن الأتراك رغم قلة عددهم تجاهلوا هذا الانذار بجرأة وشرعوا في حفر الخنادق على مقربة من القلعة وعلى شواطئ الصابري حيث كان متوقعاً أن يتم انزال قوات الغزو . وعندما اتضح أن الايطاليين كانوا في حقيقة الأمر يقومون بانزال الجنود على شاطئ جليانة (وهي المنطقة المسماة باسم ابنة أحد القناصل البريطانيين ، وكانت قد دفنت هناك أثر وفاتها بسبب وباء اجتاح المدينة) أصبح من المتعذر تغيير الخطط الدفاعية نظراً لضيق الوقت ، ولا سيما أن الحامية العسكرية في البركة أرغمت على التخلي عن مواقعها بسبب قصف المدافع لها من البحر .

وعند الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩ — وذلك بعد ان انقضى موعد الانذار — بدأت البوارج الحربية في قذف المدينة نفسها بوابل من النيران . وقد وقعت عدة قنابل ضخمة على الجامع الكبير (فدمرت مئذنته) كما أصابت بعض القنابل مقر ارسالية الفرنسيسكان وكلتا القنصليتين الايطالية والبريطانية. وتسبب القاء القنابل في قتل الكثير من العزل الذين التجأوا الى بعض المباني اعتقاداً منهم بأنها ستقيهم غائلة الموت . ولما كان استمرار المقاومة لن يجدي فتيلا بل يؤدي الى تدمير المدينة وازهاق عدد كبير من الارواح البريئة فقد قام عمدة المدينة « أحمد الجهاني » بايفاد ابنه وبرفقته أحد الأعيان كي يطلبا الى الأب « كريستوفورو » — أحد قساوسة الارسالية —

أن يخطر الايطاليين برضوخ المدينة لشروط التسليم . ومن ثم رفعت راية بيضاء وسلط عليها ضوء مصباح ساطع حتى يتمكن الأميرال من مشاهدتها . وفعلا أدرك الأميرال مغزى تلك الاشارة ، وعندئذ توقف اطلاق النار . وفي تلك الأثناء انسحبت القوات التركية والعربية الى الجبل ، حيث عسكرت حشودها عند بنينه ضاربة الحصار حول المدينة الى أن أجبرت على ترك ذلك الموقع في ابريل سنة ١٩١٣.

واستمرت المقاومة البرقاوية ضد حكم الايطاليين في داخل البلاد وبعد خمس سنوات ـ حاول الايطاليون خلالها أن يصلوا الى اتفاق مع زعماء برقة بغية التعايش السلمي ـ استؤنف النضال مرة أخرى في عام ١٩٢٣ ، ولم تهدأ المقاومة داخل البلاد الاّ سنة ١٩٣١ عندما وقع الزعيم الوطني عمر المختار في الأسر حيث حوكم في بنغازي أمام مجلس عسكري ونفذ فيه الحكم بالاعدام شنقاً في مدينة سلوق . أما فيما يتعلق بتاريخ مدينة بنغازي بالذات فانها ظلت خاضعة للحكم الايطالي طيلة المدة من ١٩ اكتوبر ١٩١١ الى فبراير ١٩٤١ أي عندما دخلتها القوات التي كان يقودها الجنرال ويفل (Wavell) والتي كانت تضم قوات من الجيش السنوسي الليبي .

وفي أوائل فترة الاحتلال الايطالي أصبحت مدينة بنغازي قاعدة عسكرية الى حد كبير اذ حصنت تحصيناً منيعاً لصد هجمات القوات التركية والعربية . الاّ أن القلعة التركية القديمة لم تعد تلعب أي دور في حماية المدينة . بل

تم هدمها تدريجياً فيما بين ١٩١٢ – ١٩٢٦ . ولأول مرة في تاريخ مدينة بنغازي منذ العهد البيزنطي أقيمت لها أسوار دفاعية بنيت بالأحجار الى ارتفاع يبلغ ١٥ قدماً . وكانت تلك الأسوار تحيط بالمدينة وضواحيها ممتدة الى مسافة أربع كيلومترات تقريباً وتتخللها خمس بوابات لمراقبة المدنيين في دخولهم وخروجهم منها . وفيما وراء هذه التحصينات الداخلية شيدت عند أقصى السبخة حصون ضخمة واستحكامات مجهزة بالأنوار الكشافة التي كانت تسلط على السهول المجاورة أثناء الليل .

وبعد أن وطد الايطاليون أقدامهم في منطقة الجبل فقدت مدينة بنغازي طابعها العسكري بالتدريج لكنها ظلت بمثابة القاعدة الرئيسية للعمليات الحربية الايطالية في داخل البلاد . أما السور المحيط بالمدينة فقد هدمت بعض أجزائه نظراً لتعارضها مع متطلبات المشاريع الجديدة التي ظهرت لتخطيط المدينة والذي كان أغلبها يقتصر على أطراف المدينةحيث توجد الأراضي الخالية من العمران . وقد بقيت مدينة بنغازي القديمة – ولا تزال – على حالها اذ لم تطرأ عليها سوى تغيرات طفيفة منذ العهد التركي . فالمباني الجديدة لم تحدث آثاراً تستحق الذكر الآ في كل من ميدان البلدية وشارع عمر المختار (أي شارع روما سابقاً) المؤدي الى الميدان من ناحية الميناء .

وأهم الأحياء الجديدة التي أنشأها الايطاليون في

بنغازي هو ذلك الذي يمتد على طول الشاطئ المواجه للبحر من مبنى الجمارك جنوباً الى نهاية ما يعرف اليوم باسم رصيف الكاتدرائية ، وقد أصاب هذا الحي كثير من الدمار بسبب ويلات لحرب فيما بين سنة ١٩٤٠ — ١٩٤٢ والموقع الذي توجد به حدائق البلدية الآن كان في أواخر عهد الأتراك عبارة عن ساحة تكدس فيها أكوام عديدة من الملح الذي يجمع من السبخ المجاورة توطئة لتصديره الى الخارج . وبعد تصميم الحدائق بنيت حول هذا الميدان عدة عمارات ضخمة لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم مثل المسرح (الذي شيد سنة ١٩٣٢) والجامعة (التي كانت قصراً للحاكم فيما بين عام ١٩٢٣ — ١٩٢٩) ومن ضمن تلك العمارات مبنى للبرلمان كان مشيداً على الطراز المغربي وحول فيما بعد الى مقر للقيادة الفاشستية ، كما كان هناك أيضاً بناية كبيرة ذات أبراج تعرف « بقصر الأعيان » (**Palazzo Nobile**) وتضم الهوتيل المسمى في ذلك الوقت « هوتيل ايطاليا » ، غير أن كلا من هاتين البنايتين قد تعرضتا لقصف القنابل أثناء الحرب ثم أزيلت أنقاضهما في سنة ١٩٥٢ . ولا تزال بعض المباني الحديثة الأخرى صالحة للاستعمال كالمنارة والكاتدرائية الفخمة ذات القبتين (التي أسست سنة ١٩٣٢) . وهما أبرز معالم المدينة .

وميناء مدينة بنغازي أصابته يد الاصلاح والتبديل على مر السنين . ففي القرن التاسع عشر كان مشهوراً بعدم كفايته اذ

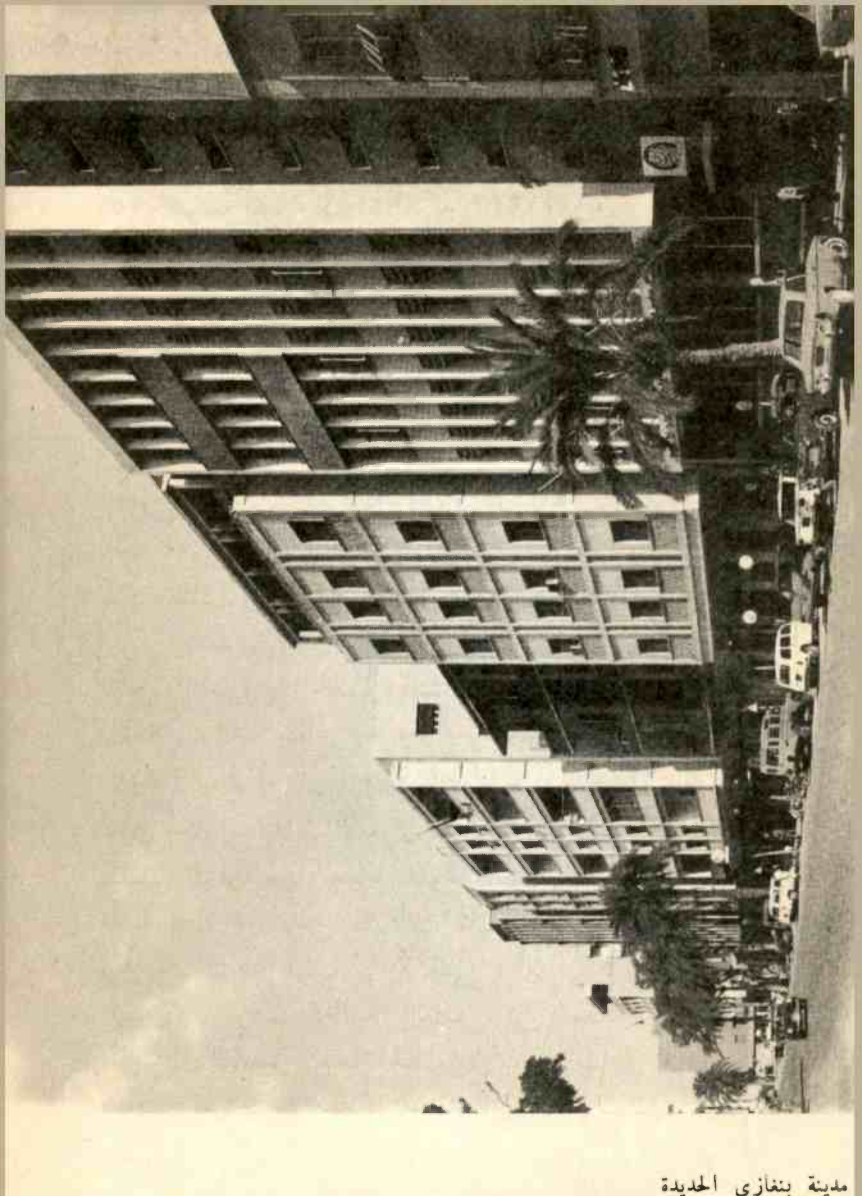
أن أي سفينة تغوص في الماء الى عمق يزيد عن عشرة أقدام لم يكن باستطاعتها أن تنفذ عبر الثغرة التي بين الصخور كي تصل الى المرسى القريب من رصيف الكاتدرائية . غير أن الوضع قد تحسن قليلاً في سنة ١٨٨٩ حين بنى الأتراك رصيفاً صغيراً قرب مبنى الجمارك وأقاموا منارة لارشاد السفن . ومع ذلك فان هياج البحر في فصل الشتاء كان كثيراً ما يحول دون دخول سفينة البريد الى الميناء حتى بعد مرور سنوات كثيرة من الاحتلال الايطالي .

وقد وضعت عدة مشاريع ترمي الى اصلاح ميناء مدينة بنغازي حتى يصبح ملائماً لاستقبال السفن في مختلف الأحوال الجوية . وكان أحد تلك المشاريع يهدف الى تطوير المرفأ الطبيعي الموجود عند « رأس تاينوس » على بعد عشرة كيلومترات جنوبي المدينة . ففي القرن التاسع عشر كانت السفن التي لا تتمكن من دخول ميناء مدينة بنغازي تجد في ذلك المكان مرفأ أمينا لرسوها . وأخيراً خرجت الفكرة الى حيز الوجود في سنة ١٩٢٩ اذ طبق مشروع بلغت تكاليفه مائتي مليون ليرة (بسعر ما قبل الحرب) ونتج عنه أن صار لمدينة بنغازي نفسها حوض خارجي جديد ذو اتساع كبير الا أن الغارات الحربية وعمليات التخريب في الفترة ما بين عامي ١٩٤٠ – ١٩٤٢ أدت الى تقويض الكثير من هذه المنشآت . ولم يبدأ الميناء في الانتعاش من أثر تلك الضربة الا أثناء السنوات الأخيرة

ووسائل المواصلات التي تربط مدينة بنغازي ببقية أجزاء برقة وطرابلس ظلت مدة طويلة بعد الاحتلال الايطالي تقتصر على البواخر الساحلية التي كانت تتردد على موانئ الزويتينة وبنغازي وأبولونيا (سوسة) ودرنة وطبرق . غير أن عام ١٩٣٠ شهد انشاء طريق حديث معبد بالاسفلت يمتد جنوباً من العاصمة الى اجدابيا وآخر مثله يتجه شرقاً عبر الجبل الى درنة . وأخيراً تم في سنة ١٩٣٧ شق الطريق الساحلي الجديد الذي يصل بين الحدود التونسية والمصرية والذي يعتبر من طرق المواصلات البرية العالمية . كما أن التوسع في برنامج مد الطرق طغى الى حد ما على المشروع الذي كان الايطاليون قد رسموه اصلا لربط أنحاء برقة بشبكة متكاملة من الخطوط الحديدية . فالسكك الحديدية الممتدة من بنغازي الى كل من سلوق والمرج افتتحت في عامي ١٩٢٦ م – ١٩٢٧ على التوالي ، ولكن لم تجر أية محاولات للتوسع في مد هذه الخطوط الآن بعد أن ازدادت التحركات العسكرية قبيل نشوب الحرب العالمية . فعندئذ بدأ التمهيد لمد المزيد من الخطوط الحديدية حيث لا زالت تشاهد الى الآن بعض الجسور والأخاديد التي لم تتم بين المرج ومراوه . اما من حيث الاحتياجات المدنية العادية لسكان برقة في ذلك الحين فمن المشكوك فيه أنها كانت تبرر انفاق مثل تلك الأموال الطائلة التي يتطلبها مد وصيانة هذه الشبكة المتسعة من الخطوط الحديدية .



من اجمل المناظر في



مدينة بنغازي الجديدة

(٥) الحرب العالمية (١٩٤٠ - ١٩٤٢)

في السنوات القلائل التي سبقت بداية الحرب العالمية كان عدد سكان مدينة بنغازي يتزايد بسرعة لا يستهان بها . فبعد أن كان عددهم في سنة ١٩٢٩ لا يتجاوز ٣٠ الفاً من العرب و ٨ آلاف من الايطاليين وألفين من اليهود قفز مجموع السكان في سنة ١٩٣٧ الى ٥٠ ألفاً (منهم ٣٠ ألف عربي و ١٦ ألف ايطالي و ٢٥٠٠ يهودي) . وكانت المدينة تتألف من قسمين متميزين أحدهما يتمثل في الحي العربي القديم الذي يتوسط ميدان البلدية والآخر يضم الأحياء الاوروبية الحديثة والمنشآت العسكرية الواقعة في أطراف المدينة . وكان السواح والزوار الرسميون الذين يفدون على المدينة ينزلون إما في « فندق ايطاليا » أو « فندق برينيتشي » أو في أحد الهوتيلات الأخرى الصغيرة . وبالنسبة للاوروبيين كانت تتوفر فيها جميع مقومات الحياة الموجودة في أي مدينة عصرية . ومن ذلك أنه كان يوجد بها مطعم صيفي وحديقة للنزهة قرب نهر « ليثي » أما في الأماكن القومية لليبيين — وهم الغالبية العظمى من السكان — فانها لم تجد طريقاً الى التحقيق . فلما دخلت ايطاليا الحرب الى جانب المانيا سنحت لليبيين فرصة التوصل الى نيل مطالبهم القومية

ولكن بعد مرور سنوات طويلة قاست المدينة خلالها كثيراً من الخراب والآلام بسبب ما تعرضت له من الغارات الجوية.

أعلنت ايطاليا الحرب في ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ وحشدت جيشاً جراراً على الحدود المصرية. ثم بدأت الغارات الجوية البريطانية على منشئات ميناء مدينة بنغازي وغيرها في شهر سبتمبر واستمرت ليلياً طيلة عدة أشهر. وبتاريخ ٩ ديسمبر هاجمت قوات الجنرال ويفل (Wavell) جيش غرازياني (Graziani) وأخذت تشق طريقها الطويل محرزة النصر تلو الآخر في اتجاهها نحو الغرب. وفي مساء اليوم التاسع من فبراير ١٩٤١ دخلت بنغازي الوحدات الآلية التابعة للقوات الاسترالية تحت قيادة البريجادير روبرتسون (Robertson)، بينما أسرعت القوات الايطالية مولية الادبار جنوباً صوب اجدابيا، فما أن وصلت الى موقع بيضافوم (Beda Fomm) حتى داهمتها المدرعات البريطانية التي كانت قد عبرت الصحراء قادمة من المخيلي فمزقتها شر ممزق.

وقد أورد المراسل الحربي « آلان مورهيد » (Alan Moorhead) وصفاً للمنظر الذي شاهده بنفسه في ميدان بلدية بنغازى عندما سلمت السلطات المدنية الايطالية المدينة رسمياً، فكتب يقول: « إن الجنود الذين كانوا مغمورين في جبهة القتال هم الذين حظوا بشرف النهاية في صباح ذلك اليوم القارس البرد الملبد بالغيوم، عندما نزلوا من عرباتهم في الشوارع – وكانوا لا يتجاوزون فرقة واحدة – وساروا

الى الميدان حيث مبنى البلدية . وكان مظهرهم يتسم بالخشونة وقذارة الملبس اذ كانوا ملطخين بالطين من رؤوسهم الى اقدامهم . كما كانت خوذاتهم المعدنية منكسة فوق عيونهم لوقايتهم من شدة الريح ... ففي خلال الشهرين اللذين دار فيهما القتال كان أولئك الجنود كثيراً ما يعانون وطأة الجوع والبرد في ذلك الجو القاسي . وأهالي المدينة الذين تجمهروا في الميدان كانوا يتوقعون مشاهدة فرق موسيقية واستعراض عسكري منظم . غير أنهم بدلاً من ذلك كله لم يشاهدوا سوى هذه الشرذمة الصغيرة من الرجال الملطخين بالوحل في ثيابهم الرثة » .

ولكن هذا الاحتلال البريطاني الأول لمدينة بنغازي لم يدم سوى ٥٦ يوماً فبينما ضعفت القوات البريطانية الموجودة في برقة بسبب رحيل جزء لمساعدة اليونان نزل رومل في طرابلس بقوات جديدة مسلحة ليغزو جيوش الحلفاء . وعندما زحف رومل شرقاً من جهة العقيلة أصبح من الضروري الجلاء عن مدينة بنغازي . وفعلا انسحبت القوات البريطانية في ليلة الثالث من ابريل ١٩٤١ بعد تدمير المنشآت العسكرية . ولم تعد مرة أخرى الا عندما حل عيد الميلاد في السنة التالية . وفي الوقت نفسه ظلت طائرات السلاح الجوي الملكي تمطر المدينة بقنابلها بغير هوادة .

وعندما عاد المراسل الحربي « مورهيد » للمرة الثانية مع قوات الاحتلال البريطاني وجد أن بنغازي قد اعتراها التغيير

فأصبح يسودها جو من الكآبة والحزن . وفي ذلك يقول « كنا نتطلع بلهفة الى متعة الاستحمام بالماء الساخن والنوم على أسرة ذات ملاءات نظيفة والى الاسراع لشراء الحاجيات من متاجر المدينة ... ولكن ما ان انطلقنا نجوس بسياراتنا خلال شوارعها الخالية حتّى بدأت الحقيقة تتضح لنا شيئاً فشيئاً ... فقد أدركنا ان مدينة بنغازي ايضاً قد حل بها الخراب . فلم تعد تبدو عليها سمات المدينة . ذلك ان الغارات المدمرة قد اجتاحتها كداء وبيل فتركتها أنقاضاً خاوية يخيم عليها السكون والجمود . فكانت الاسواق مغلقة والمتاجر موصدة الأبواب ولم يكن في طريقنا الا الخراب تلو الخراب ... وكانت انفجارات القنابل قد خلفت أثرها في كل مبنى ، كما ان ضرب منطقة الميناء كهدف مباشر كان قد أصاب السفن الراسية هناك وهوى بها الى اعماق البحر. فالسلاح الجوي الملكي استمر يقصف المدينة بقنابله ليلة بعد ليلة طيلة ما يقرب من عام كامل وها نحن نجول بأبصارنا فيما آلت اليه المدينة من خراب ودمار » .

غير ان الكرب الذي قاسته مدينة بنغازي لم ينته عند ذلك الحد . فالقوات البريطانية في هذه المرة مكثت شهراً واحداً ثم عاد رومل الى المدينة من جديد في اواخر شهر يناير سنة ١٩٤٢ ولم يقدر لمدينة بنغازي ان تتحرر من نير احتلال قوات المحور الا بعد قرابة عام كامل (في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٢) ، عندما عقد لواء النصر في النهاية للجيش الثامن الذي كان يقوده « مونتجمري » وبذلك انتهى دور ليبيا كميدان تدور على أرضه رحى

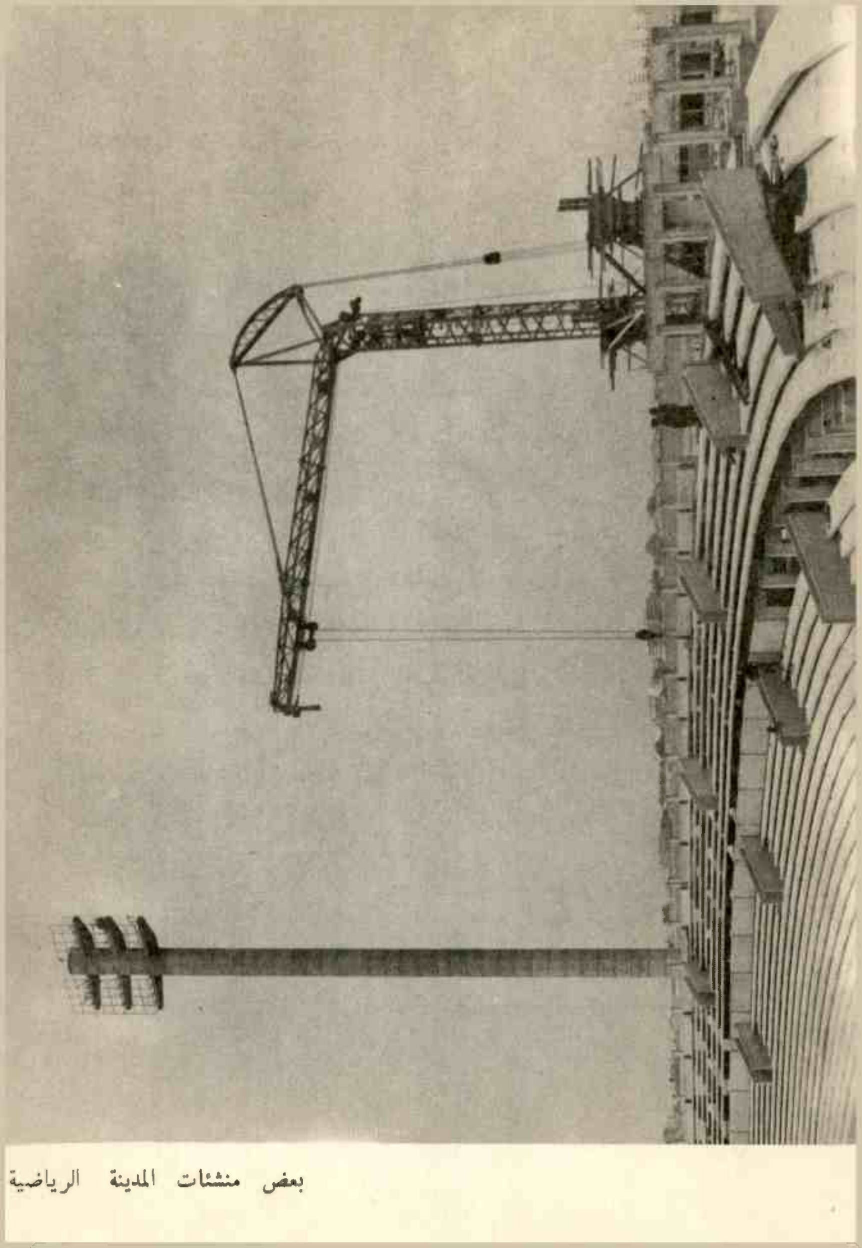
المعاوك العنيفة . وفي خلال فترة العامين والنصف التي انقضت على اعلان « موسوليني » للحرب عانت مدينة بنغازي كل ما يمكن أن تجره الحروب الحديثة من صنوف القسوة والإذلال. فقد استمر قصفها بالقنابل من البحر ومن الجو على السواء وتعاقبت عليها قوات الحلفاء والمحور خمس مرات أدت كل منها الى هدم منشآت ذات أهمية حيوية من الناحية المدنية لا تقل عمّا كان لها من أهمية حربية . وأثناء الفترات التي اشتدت فيها الغارات الجوية رحلت أعداد كبيرة من السكان الى المناطق الريفية المجاورة تاركة وراءها المدينة مقفرة الأبواب وقد توقفت مرافق حياتها المدنية .

وعلى أثر الاحتلال البريطاني الثالث والأخير وما تلاه من انتقال المسرح الرئيسي للعمليات العسكرية الى تونس ومن ثم الى صقلية وايطاليا سنحت لمدينة بنغازي فرصة الشفاء من آلام الحرب . فقد عاد الأهالي الى فتح متاجرهم وأسواقهم وبدأت الحياة في المدينة تسير في مجراها الطبيعي . ولكن الحي الاوروبي بقي خالياً مهجوراً اذ أن سكانه الايطاليين كانوا قد جلوا عن المدينة قبل الاحتلال البريطاني الأخير . وفضلاً عن ذلك فان الادارة العسكرية البريطانية التي حكمت برقة في الفترة ما بين سنة ١٩٤٣ — ١٩٥٠ لم تكن لديها أية مخصصات مالية لإصلاح ما أفسدته الحرب . وفي الوقت نفسه فان الأفراد الذين شغلوا ممتلكات الايطاليين سابقا كانوا — بطبيعة الحال — يحجمون عن انفاق المال في

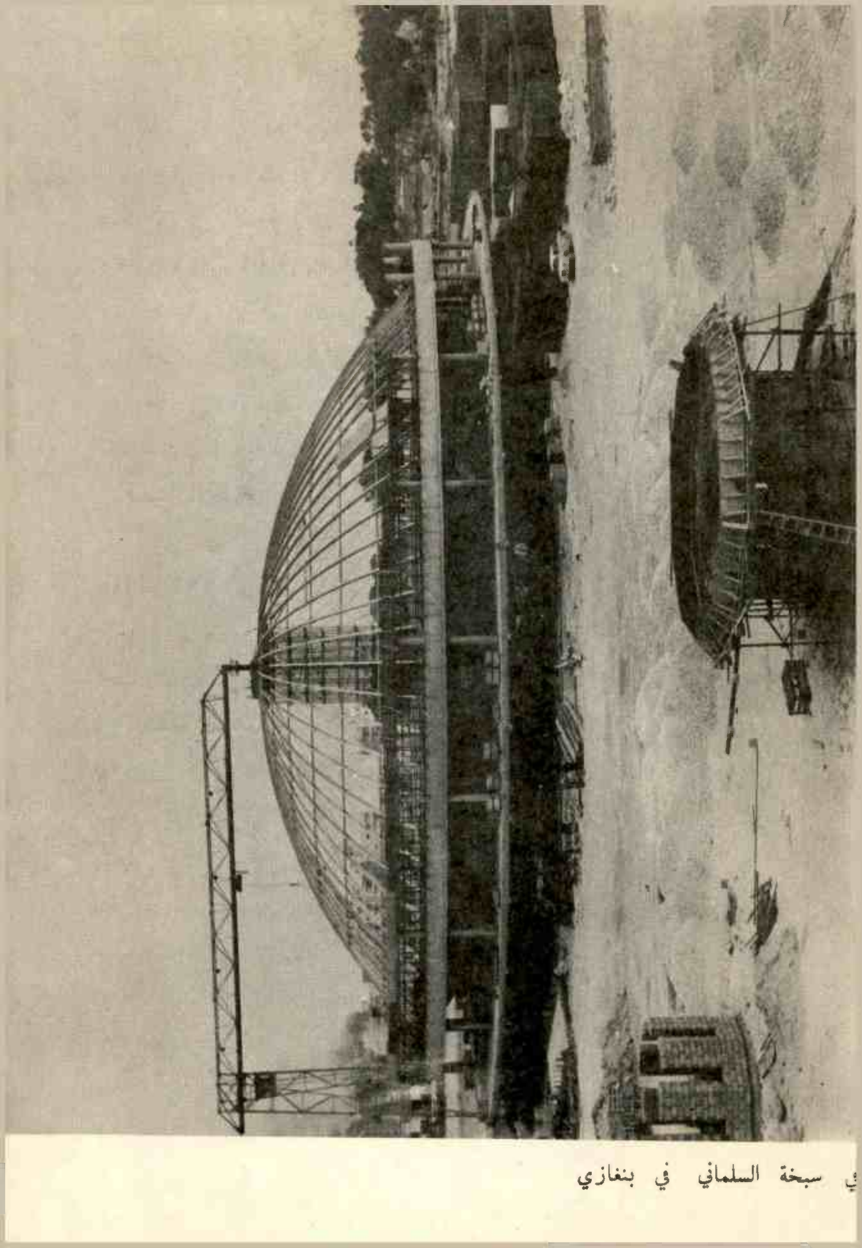
اصلاحها الى أن يتضح مصير برقة ويتم البت في أمر الملكية الشرعية لتلك الممتلكات .

(٦) الاستقلال (من بدايته سنة ١٩٥١ حتى عام ١٩٦١)

ان انتصار الحلفاء في شمال افريقيا بمشاركة تلك القلة من الرجال البواسل الذين تكوّن منهم جيش عربي ليبي تحت زعامة ملك ليبيا ، وكان حينئذٍ يعرف باسم السيد ادريس ، أمير برقة – ذلك النصر ضمن لليبيا تحقيق أمانيها القومية في المستقبل . فمنذ اليوم الثامن من يناير سنة ١٩٤٢ صرّح المستر أنتوني ايدن في مجلس العموم البريطاني بأن حكومته مصممة على الحيلولة دون خضوع الأمارة السنوسية للسيطرة الايطالية مرة أخرى . وفي عام ١٩٤٣ قام الامير بزيارة برقة للمرة الاولى منذ اضطراره الى مغادرة البلاد سنة ١٩٢٢ ، فاستقبله أهالي بنغازي بحماس بالغ . وبعد أربع سنوات من ذلك اتخذ من عاصمة برقة مقراً له حيث تم اصلاح قصر الحاكم الايطالي السابق ليقيم فيه . ولما أكدت الأمم المتحدة استقلال ليبيا وحددت موعداً له يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ شعر أهالي برقة بأن نضالهم ضد السيطرة الأجنبية قد أحدث أثراً بعيد المدى نحو تحقيق هذا الهدف العظيم وتقديراً لمكانة مدينة بنغازي الخاصة اعترف بها – الى جانب



بعض منشئات المدينة الرياضية



ي سبخة السلماني في بنغازي

طرابلس – كعاصمة ثانية للمملكة الليبية المتحدة .
وفي السنوات الأولى عقب نيل الاستقلال شرع سكان مدينة بنغازي في القيام بأعمال العمران العديدة الباهظة التكاليف . وقد زودت الحكومة المدينة بمحطة جديدة للكهرباء (دشنت سنة ١٩٥٤) كما مدت خطاً جديداً من الأنابيب تأتيها بالمياه من بنينه . وفي الوقت نفسه بدأت المشاريع الخاصة تلعب دورها في المدينة . فكان أول اعمالها على نطاق واسع هو تشييد عمارة « الجبل الأخضر » التي تم بناؤها سنة ١٩٥٤ بموقع « قصر الأعيان » سابقاً .
وفي خلال الفترة الأخيرة من السنوات العشر التي أعقبت عام ١٩٥٠ أدى التوسع في عمليات التنقيب عن البترول الى زيادة الرواج في الأعمال العمرانية ، مما نشأ عنه ظهور أحياء سكنية حديثة بضواحي المدينة . فلما تم اكتشاف البترول في منطقة سرت سنة ١٩٥٩ وقام الملك في اكتوبر ١٩٦١ بتدشين أول خط للأنابيب (من زلطن الى البريقة) في ليبيا كان ذلك ايذاناً ببدء انتعاش مدينة بنغازي وازدهارها وحتى الميناء الذي يعد مشروع ترميمه مهمة ضخمة جداً نظراً لما أصابه من ويلات الحرب ومن عوامل التعرية البحرية في السنوات التي تلتها أصبح اصلاحه اليوم رهن الانجاز.
ومن المؤكد الآن أن مدينة بنغازي مقبلة على نمو وتطور كبيرين رغم ما كان يشوب مستقبلها من نظرة تشاؤمية عند بداية الحرب العالمية . فمثلما كان تصدير نبات السيلفيوم

الثمين يجلب الثراء لمدينة بنغازي القديمة في أيام الاغريق نجد الصناعة البترولية اليوم تقوم بنفس الدور في تطوير حياة هذه المدينة الحديثة، حتى أنه ليبدو أن حدائق « هسبريدس » وان طواها عالم النسيان لا زال بعض « تفاحها الذهبي » ناضجاً داني القطوف .

موجز لأسماء المراجع

- المقال الوارد عن « بنغازي »في دائرة المعارف الايطالية .
- المقال الوارد عن « بنغازي » في دائرة المعارف البريطانية .
- دليل « ليبيا » الصادر عن نادي السياحة الايطالي (ميلانو – ١٩٣٧ م)
- « دراسة عن بنغازي أيام الاستعمار »، كتبها أولديريكو تيجاني (ميلانو – التاريخ مجهول) .
- « سكان برقة » ، تأليف ا . دى أغوسطينى (بنغازي ١٩٢٣ م)
- « فهرس قطع العملة الاغريقية التي وجدت في برقة والمحفوظة بالمتحف البريطاني » ،
صنفه ا . س . ج . روبنسون (لندن – ١٩٢٧ م) .
- « مدن الولايات الرومانية الشرقية »، تأليف أ . ه . م . جونز (أكسفورد – ١٩٣٧ م) .
- « رحلة في مناطق بربر طرابلس » ، تأليف باولو ديلا تشيلا (١٨١٩ م) .
- « وقائع رحلة البعثة الاستكشافية الى ساحل افريقيا الشمالي » ،
تأليف الأخوين بيتشي (لندن – ١٨٢٨ م) .

- « جولات في شمال افريقيا » ، تأليف ج . هاملتون (لندن – ١٨٥٦ م) .
- « متابعة لرحلات بروس » ، ر . ل . بليفير (لندن – ١٨٧٧ م)
- « الثلاثية الاغريقية » ، تأليف آلان مورهيد (لندن – ١٩٤٥ .

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem



الجمهوريّة العربيّة الليبيّة

وَزارَة الاقتصاد

الادارة العامة للسّيَاحَة

الطبعة الثانيّة ١٩٧٠

